الباب الأول

نشأة - الإمام البخاري ومنهجه في حياته العلمية

نشـــأة (١) أبى عبـــد الله البخارى

نسبه : هو محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن «بردزبه»(٢) الجعفى ولاء • البخارى مولدا شرف الله جده المغيرة بالاســـلام على يد اليمان الجعفى والى بخارى فانتمى اليه بولاء الاســـلام وسرى منـــه **الى ذريته جيلا بعد جيل ومنهم امامنا البخارى وبارك الله فى** صلة المغيرة باليمان فكان حفيد اليمان عبد الله المسندى بن محمد بن جعفر بن اليمان شـــيخا لحفيـــد المغيرة أمـــير المـــؤمنين فى الحـــديث ــ أبى عبد الله البخـــارى كمـــا كان أحيد بن أبى جعفر الجعفى والى بخـــارى راويا **لأبى عبد الله البخارى ومن هنا نعلم مدى** العلاقة الطيبة بين بيت الولاة الأطهار العلماء ببخارى وبيت أبى عبد الله البخارى •

مولد البخارى وأسرته

أراد الله لمدينـــة بخارى وهى من أعظم مدن ما وراء النهر « نهر جيحون » على بعد ثمانية أيام من سمرقد من بلاد فـــارس (٣) أن يرفع ذكرها ويخلد اسمها وضاء فولد بها أبو عبد الله محمد بن اسماعيل يوم الجمعة (٤) اثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتســـعين ومـــائة

---

(١) تاريخ الخطيب البغدادى جـ ٢ ص ٦ ، طبقات الشافعية الكبرى لابن الســـبكى جـ ٢ ص ٤ مقدمة فتح البارى لابن حجر جـ ٢ ص ١٦٣ مقدمة شرح البخـــارى للنووى جـ ١ ص ٤ ، تهذيب الاسماء واللغات للنوى جـ ١ ص ٦٧ ، تذكرة الحفاظ للذهبى جـ ٢ ص ١٧٢ سير أعلام النبلاء للذهبى جـ ٢ مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢١٩٥ لباب الانساب جـ ١ ص ٢٣١ تهذيب التهذيب جـ ٩ ص ٤٧ •

(٢) « بردزبة » فارسى معناه بالعربية الزراع « الفلاح أو الفيستانى » •

(٣) وبخارى الآن تحت نفوذ الاتحاد السوفيتى بولاية ازبيكستان من المستعمرات الروسية فى آسيا الوسطى •

(٤) قال أبو يعلى الخليلى فى كتابه الارشـــاد على مافى الوفيات أن ولادته كانت لاثنتى عشرة من شوال فى السنة المذكورة •

من الهجرة (١٩٤ هـ) فى بيت مبارك عطره والده اسماعيل بالعلم والتقوى فقد كان من العلماء العاملين والنبلاء الورعين ، خرج اسماعيل من وطنه حاجا قبل سنة (١٧٩ هـ) وتقابل مع امام المدينة مالك بن أنس ورأى حماد بن زيد وصالح عبد الله بن المبارك بكلتا يديه (١) .

وحدث عن ابى معاوية بن صالح وجماعة وروى عنه أحمد بن حفص وغيره من العراقيين .

واذا كانت مكانة اسماعيل تسمو برواية الحديث وطلبه من منابعه الصافية منذ تتلمذ على أقطاب المحدثين وبتصدره شيخا محدثا يؤخذ عنه الحديث فأن هذا السمو يبلغ درجة عالية من الكمال حينما نعلم أنه اتسم بأشرف الأوسمة اذ كان ثقة .. ترجم له ابن حبان فى كتاب الثقات كما ترجم له ولده (٢) فى التاريخ الكبير .

وهل الثقة الا لفظ موجز عميق الدلالة ؟ .. يضم فى دائرته أجل الصفات وأعظمها غريزية ومكتسبة من ذكاء لماح وحفظ تام الى عدالة كاملة وأمانة عالية . وقد بلغ اسماعيل درجة فى الورع تدعو الى الاجلال والاكبار ، اذ كان يبتعد عن الشبهات . أنعم الله عليه بثروة طائلة طهرها حتى من الشبهات واستثمرها فى الخيرات فكان قرير العين عند الممات روى عنه احمد بن حفص : قال دخلت عليه عند موته فقال : لا أعلم فى جميع مالى درهما من شبهة فتصاغرت الى نفسى (٣) بعد ذلك ، واستقبل منزل الحديث والتقوى والثراء العريض محمد بن اسماعيل وقرت به عين والديه ــ طفلا صغيرا ثم ما لبث الوالد ان توفى وترك ابنه محمدا فى مرحلة الطفولة مع أمه التقية (٤) النابهة تحبوه بعطفها وتركز فيه آمالها .

---

(١) رواية عن البخارى فى سير أعلام النبلاء ٢ ــ ٨ ص ٢٣٤ مخطوط .

(٢) تاريخ البخارى ج ١ قسم ص ٣٤٣ ــ ٣٤٣ طبع الهند ١٣٧٠ هـ .

(٣) سير أعلام النبلاء ص ٢٣٤ وطبقات ابن السبكى الكبرى ج ٢ ص ٣ وغيرها من المراجع المتقدمة .

(٤) انظر الخطيب البغدادى ٢ ص ١٠ ذكرها غنجار فى تاريخ بخارى واللالكائى فى شرح السنة من أصحاب الكرامات فى باب كرامة الاولياء دعت لابنها البخارى فرد الله عليه بصره .

والى أى وجهة نتجه به غير نهج والده الذى ترك لها مع ثراء المال ثراء العلم يفوح أريجه فى أرجاء البيت مثلا تطبيقية زاكيـــه ممـــا تركه مسطورا فى كتبه الجامعة ذخيرة هادية •

فلنتجه به الى التعليم لينتفع بكتب والده ويسير على نهجـــه عله يحيى سيرته وذكره فالوالد سر أبيه فوجهتـــــه الى الكتاب ليدرس مع أقرانه الكتابة والقراءة والقرآن الكريم والحديث الشريف •

نبوغه العلمى المبكر :

وما أن شب الوليد وبلغ العاشرة حتىظهرت مخايل الذكاء والنجابة فيه بصورة واضحة نادرة فى هذا الوقت المبكر فى سنى حياته فى المكتب سنة ٢٠٥ هـ ويسره الله الى ما خلق له •

فألهمه حفظ الحديث على حد تعبيره الدقيق يحدث محمد بن أبى حاتم الـــوراق النحـــوى قال : قلت لأبى عبد الله محمد بن اســـماعيل البخارى : كيف كان بدء أمرك فى طلب الحديث ؟ •

قالت : ألهمت حفظ الحـــديث وأنا فى الكتـــاب قال : كم أتى عليك اذ ذاك ؟ قال : عشر سنين أو أقل (١) •

ويلاحظ أن هذا النبوغ المبكر والنمو العلمى الجارف فى الحديث ـــ كان الصفة السائدة « على حد تعبير علماء النفس » التى برزت فى حياة البخارى منذ النشأة الاولى •• فاعيت الباحثين فى حياة البخـــارى عن التقديم لحياته العلمية بمقدمات ضافية فى تربيته وخلاله قبـــل اكتمـــال عوده وهو غلام على حد تعبير الداخلى حتى يجد حياته العلمية مشرقـــة فيه • تجبر الباحث على الاهتمام بها والسير فى مضمارها • مراحـــل متسلسلة مترابطة باهرة السابقة مقدمة للاحقة •

= بعد أن ذهب وفى البداية والنهاية جـ ١١ ص ٢٥ لابن كثير ذكر انه عمى فى صغره فرأت والدته سيدنا ابراهيم عليه السلام فى المنام فقال لها : يا هذه قد رد الله على ابنك بصره لكثرة بكائك أو لكثرة دعائك وفى طبقات الشافعية للسبكى جـ ٢ ص ٣ • فأصبح وقد رد الله عليه بصره •

(١) تاريخ بغداد جـ ٢ ص ٦ •

فهو حينما يبلغ سن الحادية عشرة تكبر همته فلا يسعها رحاب الكتاب فيطلب لها آفقا أوسع وأرحب ، جغرافيته وطنه .

يتردد على أئمة الحديث أينما وجدوا فى دائرة وطنه لينهل من مواردهم حاملا عقلا نقادا وذاكرة واعية وخلقا كريما وعرف نفسه فاكتسب بذلك ثقة دفعته الى أن يقف وهو ملء السمع والبصر بقوته العلمية المبكرة يصحح ما يخطىء فيه أستاذ من عمالقة الحديث وهو أستاذه الداخلى ويدخل معه فى مناقشة علمية بريئة تهدف الى الحق وتنتهى بتسليم أستاذه الداخلى له وكتابة ما أرشده البخارى الى تصحيحه . ويحدثنا البخارى رضى الله عنه عن هذه المرحلة : « ثم خرجت من الكتاب بعد العشر اختلف الى الداخلى وغيره فقال يوما فيما كان يقرأ على الناس : « سفيان عن أبى الزبير « المكى » عن ابراهيم « النخعى » فقلت له : يا ابا فلان ان ابا الزبير لم يرو عن ابراهيم فانتهرنى فقلت له : ارجع الى الاصل ان كان عندك . فدخل ونظر فيه ثم خرج فقال : كيف هو يا غلام ؟ فقلت : هو الزبير بن عدى عن ابراهيم فأخذ القلم منى وأحكم كتابه فقال : صدقت فقال : له بعض أصحابه ابن كم كنت اذ رددت عليه ؟

فقال : ابن احدى عشرة (١) .

واستمر البخارى حركة دائبة فى تلقى الحديث من أهل بلده فسمع من محمد ابن سلام البيكندى وعبد الله بن محمد المسندى (٢) وابراهيم ابن الأشعث ومحمد بن يوسف البيكندى .

أفادته من كتب والده

وتحققت أمنية أمه فكانت كتب والدهمربية له وعونا . أقبل عليها دراسة وتمحيصا ومراجعة يقول ابو بكر بن منير : سمعت محمد بن

---

(١) تاريخ بغداد جـ ٢ ص ٦ وغيره من المراجع السابقة . الطبقات الكبرى لابن السبكى جـ ٢ ص ٤ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن السبكى ص ٢٥٦ جـ ١ وتهذيب الاسماء واللغات للنووى جـ ١ المسند من حداثته .

اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة الجعفى يقول : كنت عند أبى حفص احمد بن حفص اسمع كتاب الجامع ـ جامع سفيان ـ فى كتاب والدى فمر أبو حفص على حرف لم يكن عندى فراجعته فقال الثانية كذلك فراجعته الثانية فقال كذلك فراجعته الثالثة فسكت سويعة ثم قال : من هذا ؟ .

قالوا : هذا محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن بردزبة فقال أبو حفص : هو كما قال احفظوا عنه فان هذا يوما يصير رجلا .

وظل يحفظ الكتب ويناقش أساتذته وتظهر عبقريته والهامه حتى امتلأت الأسماع بذكره وتعجب منه مشايخه .

الفلام العالم ومنهجه الدراسى

وأصبح الغلام عالما فذا تهابه الشيوخ ويتندرون بذكره .. جمع ما عندهم جميعا من الأحاديث وعنى بالاسناد فعرف الرجال ومولدهم وتاريخ وفاتهم ومساكنهم وشيوخهم حتى أدرك حقيقة ارتباط الرجال بالأحوال والسند والمتن فأصبح لا يشتبه عليه شىء ، وبهذا فاضلوا بينه وبين شيوخه فقال (١) جعفر بن محمد المستغفرى فى تاريخ نسف وذكر البخارى لو جاز لفضلته على من بقى من مشايخه وروى عن شيخه محمد بن سلام البيكندى قوله فى محمد بن اسماعيل كلما دخل على هذا الصبى تحيرت والتبس على أمر الحديث ولا أزال خائفا (٢) » .

ويقول سليم بن مجاهد كنت عند محمد بن سلام البيكندى فقال : لو جئت قبل لرأيت صبيا يحفظ سبعين ألف حديث فخرجت حتى لحقته فقلت له أنت تحفظ سبعين ألف حديث ؟

قال : نعم وأكثر ولا أجيئك بحديث عن الصحابة والتابعين الا عرفت مولد اكثرهم ووفاتهم ومساكنهم ولست أروى حديثا من حديث

---

(١) الطبقات جـ ٢ ص ٢ .

(٢) الطبقات الكبرى جـ ٢ ص ٨ .

الصحابة والتابعين الاولى من ذلك أصل أحفظه حفظا من الكتاب أو السنة (١) .

وفى هذا النص يتجلى لنا منهجه الدراسى فى الحديث وهو العناية بالسند وأحواله والمتن وأصوله وهو حينما يروى الموقوف (المروى عن الصحابى) أو المقطوع (الموقوف على التابعى) فله فى ذلك المعنى المروى أصل من كتاب الله أو من السنة الصحيحة المسندة ولهذا المنهج فى الدراسة والرواية الذى لا يتيسر الا لمن وهبه الا الاستعداد والالهام . كانت الثقة فى مرويات البخارى متوفرة مسندة ، أو موقوفة أو مقطوعة فهو رجل الحديث والقرآن والمنهج الفريد منذ نعومة أظفاره .

وفى كل يوم يزداد فتى بخارى علما ويزداد تقدير مشايخه له يتنبئون له بالمستقبل الزاهر كل ذلك ولم يبلغ السادسة عشرة سنة ، فلما بلغها حفظ كتب ابن المبارك ووكيع وهما المحدثان المشهوران بمكانتهما العلمية .

رحلته فى طلب العلم

كان من الممكن أن يكون البخارى من أئمة الحديث كغيره من الأفذاذ الذين اقتصروا على ما جمعوه من أمصارهم وهو مجهود لا يستهان به وثروة مطمئنة وشرف عظيم .

لكنه رأى فى نفسه نهما علميا لا حد له يزكيه استعداد فطرى منقطع النظير ، وروح دينية عالية . وتوجيه . من أم صالحة تربت فى بيت كريم — وانتماء الى محدث ثقة نقى وفوق كل ذلك الهام الله وعنايته الذى هداه الصراط المستقيم فطار على أجنحة همة عالية يطوف فى أرجاء الدنيا طالبا للحديث ورجاله . وبدأ الرحلة المباركة بمكة المكرمة مهبط الوحى ومنبت الرسالة وفى موسم الحج .. لتأدية فريضة الحج أخذ معه المربية الفاضلة أمه .. وأخاه أحمد الذى يكبره سنا .. وكان

---

(١) الطبقات ج ٢ ص ٨ لابن السبكى .

ذلك سنة ٢١٦ هـ وعمره ستة عشرة سنة ومعنى ذلك أنه خرج فى نفس السنة التى حفظ فيها كتب ابن المبارك ووكيع .

يقول : « البخارى (١) خرجت مع أمى وأخى أحمد الى مكة فلما حججت رجع بها أخى وتخلفت فى طلب الحديث وهناك سمع على أئمة مكة أمثال أبى الوليد أحمد بن محمد الأزرقى واسماعيل بن سالم الصايغ .

ثم رحل الى المدينة المنورة دار الهجرة ومثوى صاحب الرسالة ومشرق النور . ليزور قبر النبى صلى الله عليه وسلم ويجمع العلم من أهله .

أحفاد الصحابة الذين حرسوا السنة وسلموها الى أولادهم التابعين وتوارثوها جيلا جيلا وطبقوها عمليا فأصبح عملهم الاجتماعى حجة عند امام دارهم الطيبة المحدث الامام مالك بن أنس رضى الله عنه الذى ترك للاسلام زخيرة ضافية من الحديث وفقهه .

مبدأ تأليف الامام البخارى

وفى جوار الرسول فى رحاب المسجد النبوى بين القبر والمنبر حيث الروحانية الصافية أفاض الله على البخارى فكان دخوله عند قبر صاحب السنة دخولا فى دور جديد مبارك هو بدء حياته التأليفية . فصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم ثم صنف التاريخ الكبير جمع فيه بين الثقات والضعفاء من رواة الحديث يقول البخارى : « فلما طعنت فى ثمانى عشرة سنة صنفت قضايا الصحابة والتابعين ثم صنفت التاريخ فى المدينة عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم وكتبه فى الليالى المقمرة وقل اسم فى التاريخ الا وله عندى قصة الا أنى كرهت أن يطول الكتاب » (٢) .

---

(١) مقدمة هدى الساري ج ٢ ص ١٩٣ لابن حجر .

(٢) تاريخ بغداد ٢ ـ ٧ تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ١٢٢ .

وأن تأليفه للكتابين المذكورين ليعطى لنا صـــورة مجلوة المعـــالم وضاءة المحيا على مدى معرفة البخارى لرجال الحديث وأحوالهم كأنه شهد القوم على حد تعبير أستاذه المحدث اسحاق بن راهويه .

ويبين لنا قيمة التاريخ وأثره العلمى : ماقاله أبو أحمد الحاكم الكبير ، وكتاب (١) محمد بن اسماعيل فى التاريخ كتاب لم يسبق اليـــه ومن ألف بعده شيئا فى التاريخ أو الاسماء أو الكنى لم يستغن عنـــه فمنهم من نسبه الى نفسه مثل أبى زرعة وأبى حاتم ومسلم ومنهممن حكاه عنه (٢) فالله يرحمه فانه الذى أصل الأصول « ويقول أبو ســـهل محمود الشافعى سمعت أكثر من ثلاثين عالما من علمـــاء مصر يقـــولون حاجتنا فى الدنيا النظر فى تاريخ محمد بن اسماعيل وهو الكتـــاب الذى سماه اسحاق بن راهويه سحرا .

واذا كانت طلائع تأليف البخارى لها هذه المـــكانة من تأصيل الأصول فانها من غير شك تضفى الثقة على ما يتلوها من مؤلفات كانت هذه الطلائع بمنزلة المقدمة لها .

ومكث بالمدينة سنة (٣) . ثم واصل الرحلة فى عصر لم تظهر فيـــه المواصلات السريعة فتراه يرحل على ظهر المطى من بلد الى آخر طالبا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم باحثـــا عن رجـــاله أينما كانوا تحلق به قوة علوية فى سماوات أرجاء العالم الاسلامى المتسع الرقعة فى ذلك العصر . راويا وحافظا . ومصنفا ومحدثا راجيا من الله أن يضع له البركة والقبول للمسلمين فى مصـــنفاته فرحل الى البصرة ليســـمع الحديث ويصنف وتردد منها على مكة أيام الحج والتقى فى مواســـمه بمحدثى الأمصار الآسلامية وكانت اقامته بالبصرة خمس سنين .

يقول : « وأقمت بالبصرة خمس ســـنين مع كتبى أصنف وأحج وأرجع من مكة الى البصرة وأنا أرجو الله أن يبارك للمسلمين فى هذه

---

(١) الطبقات ج ٢ ص ١٠ .

(٢) سير الاعلام النبلاء للذهبى ج ٢ ص ٨ مخطوط بدار الكتب المصرية .

(٣) الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٠ مقدمة الفتح ج ٢ ص ١٩٤ تاريخ بغداد .

المصنفات ويقول دخلت الشام ومصر والجزيرة مرتين والى البصرة اربع مرات وأقمت بالحجاز أعوام ولا أحصى كم دخلت الكوفة وبغداد مع المحدثين .

فالبخارى رحالة الحديث تجذبه السنة بما لها من تأثير وحيثما كانت اتجه البخارى ووضع رحاله واستوطن حتى حصلها . والمدن كلها فى نظره سواء قربت أم بعدت .

مكة .. المدينة .. الشـــام .. بغداد .. واسط .. البصرة . الكوفة .. مصر .. بخـارى .. مرو .. هراء .. نيســـابور (١) قيسارية .. عسقلان . حمص .. خراسان .. الجبال ..

وكان يكفى لشد الرحال الى بلدة مجرد وجود محدث فيها وليس له مقصد غير تحصيله الحديث .

أدرك عبد الرزاق وأراد أن يرحل اليه وكان يمكنه ذلك فقيل له : انه قد مات فتأخر عن التوجه الى اليمن (٢) .

ازاء هذا المجهود الضخم فى الرحلات الواسعة لا نستغرب قوله : « كتبت عن ألف وثمانين نفسا ليس فيهم الا صاحب حديث (٣) وقوله : كتبت عن ألف شيخ أو أكثر ما عندى حديث لا أذكر اسناده .

فالبخارى فى حله وترحاله رجل الحديث وباحثه الذى حصر أنظار العلماء عليه وملئت مجالس شيوخه فى كل مكان بالتقدير والتكريم له .

يقول أبو سهل محمود بن النصر : دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة . ورأيت علماءها فكلما جرى ذكر محمد بن اسماعيل فضلوه على أنفسهم (٤) . وبهذا المجهود الضخم فى رحلاته كانت الثقة به . فلا غرابة أن تكون مروياته لها مكانتها والوثوق بها ، فعلى من كان يتلقى الحـــديث ؟ .

---

(١) شرح البخارى للنووى ص ٦ .. الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٣ .

(٢) المقدمة لابن حجر ج ٢ ص ١٩٣ .

(٣) شرح النووى للبخارى ص ٧ ج ١ والخطيب البغدادى ج ٢ ص ٦٠ .

(٤) تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٩ .

شـــــيوخ البخـــــارى

طوف البخارى فى آفاق المعمورة • باحثا عن أئمة الحديث الهداة وهم كثرة وفيرة تلقى عنهم فأصبحوا شيوخه •

وقد وضع لنفسه نهجا فى اختياره لشيوخه فلا يأخذ الا عن الثقات يقول : كتبت عن ألف ثقة من العلماء وزيادة وليس عندى حديث لا أذكر اســـــناده (١) •

ومن أجل ذلك كان اهتمامه البالغ بمعرفة حال الرواه وكيفية تلقيهم للحديث حتى يطمئن الى أخذه عنهم •

يقول (٢) : لم يكن كتابتى للحديث كما كتب هؤلاء •

كنت اذا كتبت عن رجل سألته عن اسمه وكنيته ونسبته وحمـــل الحديث ان كان الرجل فهما • فان لم يكن • سألته أن يخرج الى أصـــله ونسخته • أما الآخرون فلا يبالون بما يكتبون (٣) •

ونشأ عن اهتمامه بالثقات ترك كل من فيه نظر مهما كان عنده من كثرة فى الحديث ــ يقول محمد بن أبى حاتم :

سئل محمد بن اسماعيل عن خبر حديث فقال :

« يا أبا فلان أترانى أدلس ؟ تركت أنا عشرة آلاف حديث لرجل فيه نظر وتركت مثله أو أكثر لغيره لى فيه نظر » (٤) •

ويتراءى من النص أن البخارى كان يترك أحاديث من لم يكن محل ثقة كاملة فى نظر المحدثين • وأبعد من ذلك فان له نظرته التى يزن بها شيوخه المحدثين فمن لم يكن راجحا ثبتا تركه وحديثه ولا اعتبار به عنـــــده •

---

(١) مقدمة شرح البخارى للنووى ص ٨ جـ١ •
(٢) تاريخ بغداد جـ٢ ص ٢٥ •
(٣) سير أعلام النبلاء مخطوط جـ ٨ ص ٢٣٨ •
(٤) تاريخ بغداد جـ ٢ ص ٢٥ •

ولا يعارض ذلك ما روى أنه يحفظ أحاديث غير صحيحة فانه يحفظها كما يحفظ أسماء الضعفاء من الرجال لتجنبهم وهذه طريقة المحدثين فى تصفية ثروتهم من الشوائب بمعرفة غثها ـ لتركه وحراسة كريمها منه .

ويستوثق فى التحرى من الرواة بما لم يسبق اليه فلا يكتب الا عن الورع الذى يقول الايمان قول وعمل : يقول :

لقيت أكثر من ألف رجل من أهل الحجاز والعراق والشام ومصر وخراسان الى أن قال : ما رأيت واحدا منهم يختلف فى هذه الاشياء (١).

« ان الدين قول وعمل وان القرآن كلام الله » وهذا المنهج فى التحرى فى رجال الاسناد هو المنهج العام فى كل روايات البخارى فى جامعه الصحيح وغيره من مصنفاته واذا كان شيوخ البخارى بلغوا كثرة فانه أشار اليها فى وقت ما بأنها بلغت أزيد من الالف ثقة كما ورد فى النص . فالاستيعاب لمشايخه أمر يطول ويصعب فيكفى أن أذكر نماذج حية من كبار شيوخه الذين تقدم سماعهم وعلا اسنادهم ليستدل بهم على أعالى اسناده كما ذكره الحاكم النيسابورى » .

فممن سمع منه البخارى رحمه الله .

بمكة :

أبو الوليد أحمد بن محمد الأزرقى وعبد الله بن يزيد المقرى واسماعيل بن سالم الصائغ وأبو بكر الحميدى عبد الله بن الزبير القرشى الأسدى أجل أصحاب الشافعى ، وأقرانهم .

بالمدينة :

ابراهيم بن المنذر الحزامى ومطرف بن عبد الله بن حمزة وأبو ثابت محمد بن عبد الله وعبد العزيز بن عبد الله الاويسى ويحيى بن قزعة وأقرانهم .

---

(١) المقدسى فى كتابه الكمال فى أسماء الرجال ج ١ ص ٨٢ سير أعلام النبلاء ٨/٢ ص٢٣٥ مخطوط وشرح البخارى للنووى ص ٦ وتهذيب الاسماء واللغات ص ٧١ للنووى .

وبالشام : محمد بن يوسف الفريابى من أوائل من صنف على المسانيد وأبو نصر اسحاق بن ابراهيم ، وآدم بن أبى الياس وأبو اليمان ابن نافع (١) وحيوه بن شريح وخطاب بن عثمان وسليمان ابن عبد الرحمن • وأبو المغيرة عبد القدوس وأقرانهم •

وببخارى :

محمد بن سلام البيكندى ومحمد بن يوسف وعبد الله بن محمد المسندى وهارون بن الأشعث وأقرانهم •

وبمرو :

على بن الحسن بن شقيق وعبدان بن عبد الله بن عثمان ومحمد ابن مقاتل وعبده بن الحكيم ومحمد بن يحيى الصائغ وحبان بن موسى وأقرانهم •

وببلخ :

مكى بن ابراهيم ويحيى بن بشر ومحمد بن أبان والحسن بن شجاع ويحيى بن موسى وقتيبة بن سعيد وأقرانهم وقد أكثر بها •

ومن هراه :

احمد بن الوليد الحنفى •

ومن نيسابور :

يحيى بن يحيى التميمى وبشر بن الحكم واسحاق بن ابراهيم الحنظلى « ابن راهوية » ومحمد بن رافع وأحمد بن حفص ومحمد ابن يحيى الذهلى وأقرانهم •

ومن أهل الرى :

ابراهيم بن موسى •

---

(١) مقدمة شرح البخارى للنووى جـ ١ ص ٦ •

ومن بغداد :

محمد بن عيسى الطباع ومحمد بن سابق وسريج وأحمد بن حنبل وأبو بكر بن الاسود واسماعيل بن الخليل وأبو مسلم عبد الرحمن ابن أبى يونس والمستملى وأقرانهم •

ومن واسط :

حسان بن عبد الله وسعيد بن عبد الله بن سليمان وأقرانهم •

وبالبصرة :

أبو عاصم النبيل وحسان بن حسان وصفوان بن عيسى وبدل ابن المحرب وحرمى بن حفص و (عفان) بن مسلم ومحمد عرعرة وسليمان ابن حرب وأبو حذيفة النهدى وأبو الوليد الطيالسى وعارم (محمد بن الفضل) ومحمد بن سنان وأقرانهم •

وبالكوفة :

عبيد الله بن موسى وأبو نعيم وأحمد بن يعقوب واسماعيل ابن ابان والحسن بن الربيع وخالد بن مخاد وسعد بن حفص وطلق ابن غنام وعمر بن حفص • وعروة بن أبى المغراء وقبيصة بن عقبة وأبو غسان وأقرانهم •

وبمصر :

عثمان بن صالح وسعيد بن أبى مريم وعبد الله بن صالح وأحمد ابن صالح وأحمد بن شبيب واصبغ بن الفرج وسعيد بن عيسى وسعيد ابن كثير بن عفير ويحيى بن عبد الله بن بكير وأقرانهم •

وبالجزيرة :

أحمد بن عبد الملك الحرانى وأحمد بن (يزيد) الحرانى وعمرو ابن خلف واسماعيل بن عبد الله الرقى وأقرانهم •

قال الحاكم :

فقد دخل البخارى رحمه الله هذه البلاد المذكورة فى طلب العلم وأقام فى كل مدينة منها على مشايخها وانما سميت من كل ناحيـــة من المتقدمين ليستدل على عالى اسناده وبالله التوفيق •

أذكر ذلك وان كان قد عقب عليه ابن السبكى باستدراكه عـــلى بعض الاسماء الا أن ذلك لم يرق الى رتبة الترجيع فبقى المعنى الذى يريده الحاكم من كثرة شيوخه على اسنادهم •

طبقات شـــيوخ البخارى

استقبل امامنا البخارى حياته العلمية الزاهرة فى مقتبل القـــرن الثالث الهجرى وكان استقبالا حارا جارفا فحصل حديث أهل بلـــده وحفظه • وعرف كلام أهل الرأى •

وابتدأ الرحلة المباركة سنة ٢١٠ هـ يافعا فى مكانته العلمية وكان بين نهضته فى اشتغاله بالحديث وبين وفاة صاحب الحديث صلى الله عليه وسلم الذى توفى سنة ١١ هـ قرنان من الزمان هذا بالنسبة للمقياس الزمنى •

أما بالنسبة لمقياس طبقات رجال الحديث فالبخارى من أتباع أتباع التابعين بينه وبين صاحب الهداية والسنة ثلاثة رجال فقط فى اسناده العالى كما فى (ثلاثيات البخارى) وهذه المسافة قصيرة للغاية • بالنسبة للثقافة الانسانية وتاريخها ونظرياتها ويعبر المؤرخون عن مثل هـــذه المسافة حينما يوجدون على طرفها •

« بالتاريخ الحديث » وفى عصرنا الحالى يدرس من الثقـــافات ونصوصها ما يضرب فى أعماق الزمن قبل الرسالة المحمدية بعشرات السنين ، بل اننا نسلم بحقائق بشرية كتعليمات مسلمة لاشبة فيها منذ عشرات السنين قبل الميلاد كأقوال (أنيكسمندر) وسقراط وأرسطو وغيرهم ، رغم أننا لم نعرف سندها وأحوال نقلها وظروفهم • فما بالك اذا كانت المسافة الزمنية قصيرة • وكانت ثقافة وحى يوحى وسعادة دنيا

وأخرى وحملتها أصحاب القرون الأولى الخيرة الذين جندوا أنفسهم لحفظ السنة •

ومنهم من قصر حياته على احيائها وقيض الله لها العدول الذين ينفون عنها تحريف الغالين وخبث الوضاعين فظلت ناضرة بحيويتها • التى لبستها يوم أن خرجت من فم صاحب الرسالة ، حفظها الصحابة وأسلموها للتابعين فأدوها بدورهم لأتباع التابعين وأتباع أتباع التابعين وطبقات مثالية حارسة للسنة وكلما تقدم الاسناد علا •• وأعلا اسناد البخارى •

كما أشرت لذلك ثلاثياته التي فيها بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة رجال فالمحدثون للبخارى أتباع التابعين الذين بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم التابعون فالصحابة مباشرة الذين تلقـــوا السنة عن الرسول المتلقى عن الوحى الذى لا ينطق عن الهوى •

فما على البخاري الا أن يتعرف بنظرته الثاقبة الصادقة ثقة شيخه ودقته ويتعرف من شيخه أحوال من أخذ عنه شيخه من التابعين الذين أخذوا عن الصحابة المعدلين بالقرآن •

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » • والذين قال الرسول فيهم :

«أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» وهم طليعة القرون الخيرة • ينص حديث الرسول خير القرون قرنى • ثم الذين يلونهم • الخ • سيرتهم ناصعة كالصباح • وسيماهم فى وجوههم من أثر الصلاح فهذا الاسناد العالى للبخارى يسكب فى نفوسنا تأكيدا للثقـــة برواية السنة عند البخارى فى هذه الطبقة وفى غيرها من الطبقات التالية لأن البخارى كما يأخذ عن هذه الطبقة يسترشد بها عن الســـنة وأماكنها ورجالها الحافظين لها الموثوق بهم من بعد هذه الطبقة من طبقـــات شـــيوخه ••

فلو فرض فرضا ، أن السنة لم تدون الا فى عصر درة ـــ المحدثين • البخـــارى •

لما كان هناك ما يدعو الى القلق والقول بتأخر تدوين السنة ، كما يدعى بعض المتجنين ومقلدوهم فضلا عن أنها دونت فى عصر الرســول صلى الله عليه وسلم والخلفاء تدوينا فرديا وحفظت الحفظ اللائق بها • كوحى الهى فى اذهان سياله مؤمنة وجند آلاف الابطال أنفسهم لحفظ السنة التى جاء بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن الله جل شأنه ثم كان التدوين الرسمى بأمر خليفة المسلمين (عمر بن عبد العزيز) على رأس المائة الثانية قبل ان يجفف الزمن الدماء الزكية للصــحابة الذين شهدوا الوحى وقد وضعت السنة فى اطار مكين فى كل زمن فوضعوا لها القواعد الدقيقة وفتشوا عن تاريخ الرواة وبلادهم ومذاهبهم وقربهم من مشايخهم وطرق أدائهم ومدى حفظهم وثقتهم وبذلك حصروا الدخلاء والوضاعية والمغفلين فى قائمة سوداء ومعهم ما جاءوا به من بضاعة غثة وسارت السنة متدفقة صافية بفضل منهجهم الفريد الــذى لم تعرفه الانسانية فى تاريخ أرقى مراحل تقدمها والسر فى ذلك « أن السنة بعــد القرآن هى أعلى وأسمى ما عرفته البشرية فكانت جديرة بهذه العناية التى هدى الله لها عباده حفظا للسنة الحارسة لكتابه المبينة له تحقيقا لوعده الحق » •

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (١) •

فمن السنة البيان الذى يكفل به لنبيه « فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه » •

وقد رتب النووى طبقات شيوخ البخارى فى مقدمة شرح البخارى نقلا عن أبى الفضل المقدسى خمس طبقات •

الطبقة الاولى :

من حدثه عن التابعين •

منهم محمد بن عبد الله الانصارى حدث البخارى عنه عن حميد التابعى عن أنس الصحابى (١) رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ومنهم مكى بن ابراهيم وأبو عاصم النبيل حدث عنهما عن يزيد ابن أبى عبيد التابعى عن سلمة بن الأكوع (الصحابى) عن الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهم عبيد الله بن موسى حدث عنه عن هشام بن عروة واسماعيل بن خالد وهما تابعيان وحـــدث عن أبى نعيم عن الاعمش التابعى ومنهم على بن عياش حدث عنه عن جرير بن عثمان (تابعى) • عن عبد الله بن يسر الصحابى • فهؤلاء وأشباههم الطبقة الاولى •

كأن البخارى سمع مالكا والثورى وشعبه وغيرهم فأنهم حدثوا عن هؤلاء وعن طبقتهم •

الطبقة الثانية :

قوم حدثوا عن أئمة حدثوا عن التابعين وهم شيوخه الذين روى عنهم عن ابن جريج ومالك وابن أبى ذئب وأبى عيينه بالحجاز • وشعبة والأوزاعى وطبقتهما بالشـــام •

والثورى وشعبة وحماد وأبى عوانة وهمام بالعـــراق والليث ويعقوب بن عبد الرحمن بمصر وفى هذه الطبقة كثرة •

الطبقة الثالثة :

قوم حدثوا عن قوم أدرك زمانهم وأمكنه لقيتهم ولكن لم يسمعهم كيزيد بن هارون وعبد الرزاق •

الطبقة الرابعة :

قوم فى عداد طبقته حدث عنهم عن مشايخه كأبى حاتم ومحمد بن ادريس الرازى •

---

(١) مقدمة النووى ج ٢ ص ٩ وقد نقل العينى تقسيم ابن طاهر وان لم ينسبه اليه وعنون للمسألة بقوله : جملة من حدث عنه البخارى فى صحيحه •

الطبقة الخامسة :

قوم حدث عنهم وهم أصغر منه فى الاسناد والسن والوفاة والمعرفة منهم عبد الله بن حماد الايلى وحسين القبانى وغيرهما •

وقد روى عنهم أشياء يسيرة وعمل فى الرواية عنهم بما روى عن عثمان بن أبى شيبة عن وكيع قال :

لا يكون الرجل عالما حتى يحدث عمن هو فوقه وعمن هو قبله وعمن هو دونه واتخذه البخارى منهجا له فى تلقى الحديث ونادى بـــه فعن البخارى انه قال :

لا يكون المحدث كاملا حتى يحدث ويكتب عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه وعلى ذلك درج البخارى •

ثمرة تفصـــيل الطبقات

ان ثمرة تفصيل الطبقات هى عدم وقوع الابهام والالتباس على من لا معرفة له اذا حدث البخارى بالاسناد عاليا تارة ونازلا تارة حتى يفهم أن الاسنادالعالى قد حذف منه أو أنالاسناد النازل قد زيد فيه• وقد بين ابن طاهر ذلك بقوله : لئلا يظن من لا معـــــرفة له اذا حـــدث البخارى مثلا (١) •

عن مكى ، عن يزيد بن أبى عبيد ، عن سلمة •

ثم حدث فى موضع آخر عن قتيبة عن بكر بن مضر عن عمرو بن الحارس عن بكير بن عبد الله الأشج عن يزيد بن أبى عبيد عن سلمة •

ان الاسناد الاول سقط منه شىء وعلى هذا سائر الاحاديث اذ لو لم يعرف ذلك لوقع الالتباس فى كثير من الاحاديث على من لا معرفة له •

---

(١) مقدمة النووى ص ٩ لشرح البخارى .

فقد كان من نهج البخارى رحمه الله • أن يحدث بالحـــديث فى موضع نازلا وفى موضع عاليا •

فقد حدث فى مواضع كثيرة جدا عن رجل عن مالك وحـــدث فى موضع •

عن عبد الله بن محمد المسندى عن معاوية بن عمرو •
عن اسحاق الفزارى ، عن مالك •

وحدث فى مواضع عن رجل عن الثورى وحدث فى موضـــع عن ثلاثة عنه •

فحدث عن أحمد بن عمر عن أبى النضر عبيد الله الاشجعى عن الثورى •

وأعجب من هذا كله أن عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى أصغر من مالك وسيفان وشعبة ومتأخر الوفاه •

وحدث البخارى عن جماعة من أصحابه عنه وتأخرت وفاتهم ثم حدث عن سعيد بن مروان عن محمد بن عبد العزيز بن أبى رزمة عن أبى صالح سلمويه عن عبد الله بن المبارك •
فقس على ذلك •

وقد حدث البخارى عن قوم خارج الصحيح وحدث عن رجل عنهم فى الصـــحيح •

منهم أحمد بن منيع وداود بن الرشيد • وحـــدث عن قوم فى الصحيح وحدث عن آخرين عنهم • منهم أبو نعيم وأبو عاصم وأحمد ابن صالح وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وفيهم كثرة •

ويتجلى لنا فى هذا العرض عناية البخارى بالسماع من شـــيوخه ومدى ما بذله من جهد فى لقائهم والأخذ عنهم وعنايته الفائقة بتلقى الحديث فجزاه الله خير الجزاء •

تراجم بعض شيوخ البخارى

لقد كان البخارى مكثرا فى شيوخه الى درجة تدعو الى صعوبة حصرهم • وقد كان لايروى كما تقدم الا عن ثقات الشيوخ ، وكلهم افاده ثروة علمية مما رواه عنهم وزكى فى استعداده الفطرى صفات كريمه فى فطرته المستعدة فتكونت شخصيته العلمية الخلقية • وهم فى ذلك كالحدقة المفرغة لا يدرى أحد طرفها فى الشرف والرفعة • ومن الصعب أن يحدد الانسان شخصا معينا بأنه المؤثر فى البخارى صاحب الرحلات الواسعة فى طلب العلم وهو الذى تنقل كالنحلة على كل روض باسم وزهر نضر • فتتقى عن آلاف الشيوخ ومعه استعداده اللماح الفطرى الذى كان ينقل كل ما عندهم من خلال كريمة وثروة علمية زاخرة فتأثر بهم جميعا وتكونت ملكته العلمية وشخصيته المستقلة وهذا معنى التأثر بشيوخه ، ومهما كان امتياز الشيخ فان أثره الفعال لا يكون الا فى التلميذ النابه •

وقد يكون صدقا قول علماء النفس فى العصر الحاضر أن نجاح الطالب يتوقف بنسبة ٢٠٪ عن همة أستاذه ونسبة ٨٠٪ على همته واستعداده وهذا هو السر فى نجاح بعض التلاميذ دون بعض مع اتحاد الاستاذ والمنهج والمكان الا انه مع كل ذلك • فقد يكون فى حياة الشيخ نواح بارزة تظهر بصورة مشابهة فى حياة تلميذه • على أى حال كانت النسبة مع توفر الصلة القوية بينهما • فهذا يجعل الباحث فى حل لأن يذكر هذه النواحى المشابهة كأثر من آثار شيخه أو بعبارة أدق بذكرها على أن شيخه كان له أوفر سهم فى تكوينها وقد يكون معه غيره من الشيوخ أو العوامل الشخصية الذاتية فى التلميذ وقد يرجع الباحث الصفة الواحدة البارزة الى أستاذين اتحدا فى تفوقهما فى هذه الصفة الواضحة فى التلميذ (الراوى) •

وممن له أثره بهذا المعنى من شيوخ البخارى الأئمة على بن المدينى وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين واسحاق بن راهوية •

فهم من الأئمة الذين انتهى العلم اليهم فكانوا أئمة الحديث في عصرهم • وكانت صلتهم بامامنا البخارى صلة قوية • فقد كان منهممن أشار عليه بتأليف كتابه الجامع الصحيح • وهو اسحاق بن راهوية وكان منهم من شهد له بصحته بعد قراءته عليهم حديثا حديثا وهم على بن المدينى وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين •

« على بن المدينى » (١٦١ ــ ٢٣٤ هـ)

هو على بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدى ابو الحسن ابن المدينى ــ الحافظ منأئمة الحديث وممن انعقد الاجماع علىجلالته وامامته ولد سنة احدى وستين ومائة سنة ١٦١ هـ فى بيت من بيوت العلم سمع أباه وحماد بن زيد وهشيما وابن عيينه والراوردى وابن وهب وعبد الوارث والوليد بن مسلم وغندر ويحيى القطان وعبد الرحمن ابن المهدى وابن عليه وعبد الرازق وقد شهد له سفيان بن عيينه وهو من شيوخه بقوله : والله لقد كنت أتعلم منه أكثر مما يتعلم منى وكذلك قال : يحيى بن قطان وهو من شيوخه وقال أبو حاتم •

« كان ابن المدينى علما فى الناس فى معرفة الحديث والعلل وما سمعت أحدا أسماه قط وانما يكنيه تبجيلا له وهو أحد الأئمة الأربعة الذين انتهت اليهم مادة العلم فى عصرهم » قال عبد الله بن أبى زياد القطوانى : سمعت أبا عبيد يقول : انتهى العلم الى أربعة : هم أبو بكر بن أبى شيبة أسردهم له • وأحمد بن حنبل أفقههم فيه • وعلى ابن المدينى أعلمهم به ويحيى بن معين أكتبهم له •

تقدير البخارى له وتأثره به

قال السراج : قلت للبخارى :

ما تشتهى ؟ قال

أن أقدم العراق ، وعلى بن عبد الله حى فأجالسه ، كما يظهر مدى تقديره له بهذه الكلمة الجامعة •

قال البخارى •

ما استصغرت نفسى عند أحد الا عند على بن المدينى •• واذا كان من المعلوم فى قواعد علم النفس المشاهد أن تأثر الانسان بشخص ما يذكيه حبه له •• وتقديره اياه فاننا نلمح من النصين السابقين مدى اعجاب البخارى وتقديره لشيخه على : مما يدل على مقدار معرفته له وتأثره به •

تقدير ابن المدينى للبخارى

ان تقدير على بن المدينى للامام البخارى تلميذه يفوق كل تقدير شهد له شهادة ممتازة حينما قال فيه :

« هو ما رأى مثل نفسه »

وتزداد قيمة هذه الشهادة عظمة حينما نعلم أن علي بن المدينى حجة الحديث يقول ذلك •

واضعا فى اعتباره أن البخارى هو الرحالة فى طلب الحديث الذى جاب الفيافى والقفار والقرى والأمصار راويا عن آلاف الشيوخ الأعلام •

ولا غرابة فهذا هو المفروض « انما يعرف الفضل من الناس ذووه » •

وحينما تتفق الثقافات وتتحد المشاعر وتتقارب الأفكار يكون التقدير ويظهر التأثير والتوجيه •

قال (١) البخارى :

مات على بن المدينى ليومين بقيا من ذى العقدة سنة أربع وثلاثين ومائتين ٢٣٤ هـ وكان موته بسر من رأى •

---

(١) الطبقات الكبرى لابن السبكى ص ٥٦ ٢ حـ ١ وتهذيب الاسماء واللغات للنووى حـ ١ ص٣٥٠ معرفة علوم الحديث للحاكم ص ٧٢ تذكرة الحفاظ للذهبى ص ٣٥٠ حـ ١ •

« الامام أحمد بن حنبل » ١٤٦ ــ ٢٤١ هـ

هو أحمدبن حنبل بن هلال الامام أبو عبد الله الشيبانى الذهلى • نشأته ودراسته :

ولد فى ربيع الأول سنة ١٤٦ هـ فى مدينة العلم بغداد وتوفى أبوه شابا فوليته أمه (١) • نسبه عربى وهو شيبانى فى نسبه لأبيه وأمه وقبيلته معروفة بالهمة والاباء كان منها المثنى بن حارثة القائد الاسلامى المعروف •

وانتقل جده الى خراسان وكان واليا على سرخس فى العهد الأموى • وناصر الدعوة العباسية عند ظهورها ــ وكان أبوه قائدا كما ذكره الأصمعى (٢) حفظ القرآن فى صباه وتعلم القراءة والكتابة وكانت آثار النبوغ والرشد واضحة فيه منذ النشأة • اتجه أحمد بن حنبل الى الحديث وروى عنه أنه قال :

« أول من كتب عنه الحديث ــ أبو يوسف » وظل يتلقى الحديث ببغداد من سنة ١٧٩ الى ١٨٦ هـ ولزم عالما كبيرا من علماء الحديث والآثار ببغداد أربع سنوات •

هو هشيم بن بشير بن حازم الواسطى ١٨٣ وكان فى طلبه العلم مثال الجد يقول :

« كنت ربما أود البكور فى الحديث فتأخذ أمى ثيابى حتى يؤذن الناس أو حتى يصبحوا » •

واستمر فى حياته الجادة فى العلم وتحصيله حتى أوصلته الى درجة الامامة •

قال عبد اله بن أحمد : سمعت أبا زرعة يقول (٣) :

---

(١) تاريخ الاسلام للذهبى ص ١٠ ترجمة الامام أحمد •
(٢) رجال الفكر والدعوة فى الاسلام لابى الحسن الندوى ص ١٠٥ •
(٣) ترجمة الامام أحمد فى تاريخ الاسلام للذهبى ص ١٢ •

كان أبوك يحفظ ألف حـديث فقيـل وما يدريك ؟ قـال : ذاكرته فأخذت عليه الأبواب • وقال أبو عبيده :

ما رأيت رجلا أعلم بالنسبة من احمد •

وكان أحمد حجة فى علم الحديث والرواية •

وتتجلى مكانته بهذه الشهادة من الشافعى ناصر السنة حينما خرج من العراق وهى مدينة العلم والورع فيقول :

خرجت من العراق فما تركت رجلا أفضل ولا أورع ولا أفقه من ابن حنبل (١) ويقول اسحاق بن راهوية •

« أحمد حجة بين الله وبين عبيده فى أرضه » •

ويقول فيه يحيى بن معين « كان فى احمد بن حنبل خصال ما رأيتها فى عالم قط » •

وكان محدثا وكان حافظا وكان عالما وكان ورعا وكان زاهدا وكان عاقلا •

أثر المسند فى صحيح البخارى وباقى الكتب الستة

أن أثر المسند فى صحيح البخارى وباقى الكتب الستة يتضـح بشهادة الحافظ على بن الحافظ الفقيه محمد اليونينى رحمهما اللـه تعالى • فقد سئل : أأنت تحفظ الكتب الستة ، فقال : أحفظها وما أحفظها فقيل له كيف هذا ؟ فقال : أنا أحفظ مسند أحمد وما يفوت المسند من الكتب الستة الا قليل فأنا أحفظها بهذا الوجه (٢) •

فهذا القول من امام حافظ للسنة مهما كان فيه من المبـالغة فانه يصور أهمية المسند وأثره فى الصحيحين ، وباقى الكتب الستة ، مهما فاته من أحاديث كثيرة ، وجدت فى الصحيحين ، ولعل ما فاته من

---

(١) تاريخ ابن كثير جـ ١٠ ص ٣٢٥ تدريب الراوى ص ٧٥ •

(٢) مقدمة الفتح الربانى ص ٩ للاستاذ عبد الرحمن الساعاتى •

أحاديث فى الصحيحين كثيرة • ولكن بالنسبة الى ما ذكر فى باقى الكتب الستة أصبحت قليلة جمعا بين رأى ابن كثير وابن اليونينى • لأن رأى ابن كثير أنه قد فات المسند من الصحيحين الكثير •

فالمسند له أثره على أى حال فى الصحيحين صحيح البخـــارى ومسلم وان لم يبلغ درجتهما فى الصحة وغايرهما فى طريقة تصنيفه على المسانيد لا على الابواب كما فى الصحيحين •

تقدير الامام أحمد للامام البخارى وصلته به

قال محمد بن أبى حاتم وراق البخارى ، سمعت البخارى يقول : « دخلت بغداد (١) ثمان مرات كل ذلك أجـالس أحمد بن حنبل فقـال لى آخر ما ودعته يا أبا عبد الله • تترك العلم والناس وتصـــير الى خراسان ؟ فأنا الآن أذكر قول أحمد » •

ففى هذه العبارة الموجزة تشرق العاطفـــة القوية الكريمة بين الامامين فالبخارى حريص على مجالسة شيخه فيتردد على مجلســـه ويرحل اليه ولا يبرح بغداد الا مودعا له •• والشيخ يعز عليه فراق تلميذه عاتبا عليه أن يترك بغداد ويرجع الى خراسان متمنيا مقـــامه معه فى بغداد •

وتنطبع كلمات الشيخ فى ذهن البخارى وتظل حية فى ذهنـــه مما يدل على تقديره وحبه واحترامه للامام أحمد بن حنبل •

واذا علمنا من سيرة الامام أحمد الزهد والورع والاهتمـــام بجمع الحديث والرحلة من أجله فقد رحل الى الكوفة والبصرة ومكـة واليمن والشام والجزيرة •

نجد أن هذه الصفات واضحة فى البخارى ، قد يكـون لابن حنبل

---

(١) تدريب الراوى ص ٥٧ •

أثر فى ازكائها أو على الأقل قد يكون هذا التجانس فى الحياة الخلقية والعلمية .

هو السبب فى توطيد الصلة القوية بينهما مصداقا لقول الرسول عليه السلام فى حديثه « الأرواح جنـــود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » وبهذا الحديث وبغيره وضع الرســـــول القواعد الصادقة وسبق المفسرين للظواهر النفسية من علماء النفس وغيرهم فيما جاءوا به من نظريات زاعمين بأنهم اكتشفوها من البحث والجهد والدراسة ولو جاءوا الى رياض الاسلام لوجدوها زهـــرات متفتحة سهلة منظمة غير معقدة تمتاز بأنها لا تقبل الخطأ مستقاه ممن خلق الأرض والسماوات العلا . العالم بأحوال خلقه « (١) ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » .

وقد التزم البخارى منهج الامام أحمد وورعه فى الانكار على (٢) من يتكلم فى القرآن كما سيفصل فى موضعه .

الامام (٣) اسحاق بن راهوية (١٦١ ــ ٢٣٨ هـ)

هو الامام أبو يعقوب اســـحاق بن ابراهيم بن مخلد الحنظلى المروزى ثم النيسابورى الحافظ .

أحد أئمة الدين وأعـــلام المســـلمين وهداة المؤمنين الجامـع بين الفقه والحـديث والورع والتقـوى ساقه اهتمامه بالحـديث الى الرحلة الى العراق والحجاز واليمن والشام سمع به عبد الله ابن المبارك والنضر بن شميل وسفيان بن عيينه وجرير بن عبد الحميـــد الرازى واسماعيل بن عليه ووكيع بن الجراح وعبد الرزاق بن همام والشافعى

---

(١) سورة تبارك رقم ١٤ .
(٢) طبقات الشافعية ص ١٣ جـ ١ .
(٣) طبقات الشافعية الكبرى جـ١ ص ٢٣٢ وشذرات الذهب جـ٢ ص ٨٩ ووفيات الاعيان

وأخرون وروى عنه امامنا البخارى ومسلم بن الحجاج النيسابورى وأبو داود والترمذى والنسائى وأحمد بن حنبل ويحيى ابن معين ومحمد ابن يحيى الذهلى .

وحسبه شهادة الامام أحمد بن حنبل « واسحاق عندنا امام من أئمة المسلمين وما عبر الجسر أفقه من اسحاق » .

وكان شديد الورع والتقوى .. يقول محمد بن مسلم « ما أعلم أحدا أخشى لله من اسحاق » وكما ان اسحاق كان محدثا وفقيهـا فقد كان مفسرا عظيما يقول أحمد بن سلمة :

« أملى على اسحاق التفسير عن ظهر قلبـــه » ومن المجهودات الضخمة التى قام بها اسحاق النظر فى الأحاديث ونقدها متنا واسنادا وتصحيحا وترتيب أنواع الحديث .

وهو بهذا العمل الجليل يعتبر قد أفسح الطـريق ومهده أمـام تلميذه البخارى الذى ســار على نهجه فى نقد الحديث وتصحيحه بل كان عمل البخارى الجليل ونهجه القويم فى تأليف أعظم كتبه .

وأعظم كتاب بعد كتاب الله .. صحيح البخارى بمشـورة (١) من أستاذه اسحاق الذى عرف فى البخارى المقدرة على القيـام بهذا العمل الجليل ، وكان التشابه بين التلميذ والأســتاذ فى المنهج الممثل فى تنقية الحديث ونقده متنا واسنادا واستنباط فقه الحديث من غير اسراف فى الرأى .

يقول الدكتور عبد الحميد ســندالجندى فى كتـاب (٢) ابن قتيبيه

---

(١) عن ابراهيم بن معقل النسفى يقول : قال : أبو عبد الله محمـــد بن اســـماعيل البخارى كنت عند اسحاق بن راهوية فقال : لو جمعتم كتابا مختصر الصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوقع : ذلك فى قلبى فأخذت فى جمع الجامع الصحيح المقدمة ص ٠٤

(٢) أن ابن راهوية كان يمقت أهل الرأى أشد المقت ويعلل ذلك بقوله لانهم كانوا يؤولون الاحاديث تأويلا لا يقره الفعل ويلقى التبعة فى ذلك على أتباع مذهب أبى حنيفة فمن جاء بعده من أهل النظر والقياس فى أنهم الذين يحملون أوزارا ما أوجدوه ولاشـــك أن رأى الامـام أبى حنيفة برىء من ذلك . وكان ابن قتيبية يطلق على هؤلاء الاتباع اسم العصابة .

ان اسحاق بن راهوية قدم للحديث أكبر صنيع فى أنه قام بتنقية المدسوس وجرده كذلك من مسائل الفقه بعد أن كان مختلطا بها ... ومن التفسير . وقد نفخ فى تلاميذه من روحه فنبغ فيهم أعظم علماء الحديث وهم البخارى ومسلم والترمذى .

توفى اسحاق ليلة نصف شعبان سنة ٢٣٨ .. قال البخارى : وله سبع وسبعون سنة قال الخطيب فهذا يدل على أن مولده سنة احدى وستين (١) .

يحيى بن معين (٢)

يحيى بن معين أبو زكريا البغدادى من العلماء الجهابذة النقاد على حد تعبير ابن أبى حاتم الرازى .

نبغ وبرز فى تمييز صحيح الحديث من سقيمه .

وسمع الحديث من ابن المبارك وابن عيينه وابن مهدى ووكيع وهشيم وغيرهم .

اتفق العلماء على رسوخ قدمه فى الحديث ومعرفته له متنا واسنادا .. روى ابن أبى حاتم الرازى عن محمد بن مسلم بن واره وسئل عن على بن المدينى ويحيى بن معين أيهما أحفظ ؟ ــ قال كان على أسرد وأتقن وكان يحيى بن معين أفهم بصحيح الحديث وسقيمه وهو أحد أربعة انتهت اليهم زعامة العلم وقد عنى بتدوين الحديث

---

(١) وفى تاريخ بغداد عن أبى بكر بن المدينى يقول : كنا يوما بنيسابور عند اسحاق ابن راهوية ومحمد بن اسماعيل حاضر فى المجلس واسحاق يحدث بحديث من أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم وكان دون صاحب النبى صلى الله عليه وسلم عطاء الكيخارانى » فقال له اسحاق : يا أبا عبد الله أين كيخاران فقال : قرية باليمن . كان معاوية بن أبى سفيان بعث هذا الرجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم الى اليمن فسمع منه عطاء هذا الحديث فقال له : اسحاق بن راهوية يا أبا عبد الله كأنك قد شهدت القوم .

(٢) مقدمة الجرح والتعديل ص ٣١٤ وتهذيب الاسماء واللغات للنووى ج ١ ص ١٥٦ والحديث والمحدثون ص ٣٤٤ معرفة علوم الحديث للحاكم ص ٧٢ .

وتأليفه عناية فائقة ، عن عبد القاسم بن سلام يقول : « وانتهى العلم الى أربعة الى أحمد بن حنبل والى يحيى بن معين وهو أكتبهم له والى على بن المدينى والى أبى بكر بن أبى شيبة » •

وحدث عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى قال : « سمعت محمد ابن هارون الغلاسى المحزمى يقول : « اذا رأيت الرجل يقع فى يحيى بن معين فاعلم بأنه كذاب يضع الحديث وانما يبغضه لما تبين أمر الكذابين » •

وكان طلعة واسع الاطلاع مع الدقة يقول :

« لو لم نكتب الحديث عن ثلاثين وجها ما عقلناه » فكان جديرا بتقدير الامام أحمد فى قوله « السماع من يحيى بن معين شفاء لما فى الصدور » •

وقال : يحيى بن معين « رجل خلقه الله لهذا الشأن يظهر كذب الكذابين وكل حديث لا يعرفه يحيى ليس بحديث » •

وقال فيه على بن المدينى : « ما رأيت فى الناس مثله » وعده الحاكم فى علوم الحديث من فقهاء المحدثين •

وكما كان يحيى بن معين قمة فى الحديث وعلله والجرح والتعديل كان مثالا رائعا فى الورع والتقوى شأن تلميذه البخارى دفعه صدقه وثقته فى تحريه الحق أن يستقبل القبلة ويرفع يديه قائلا : « اللهم ان كنت تكلمت فى رجل ليس هو عندى كذابا فلا تغفر لى» توفى بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع على سرير النبى صلى الله عليه وسلم واجتمع فى جنازته خلق كثير • واذا رجل يقول : هذه جنازة يحيى بن معين انذاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذب والناس يبكون وهكذا كان شيوخ البخارى زعماء العلم الثقات النقاد الأتقياء الذين منحهم الله المقدرة على حفظ التراث النبوى وحراسته والذود عن حياضه فذبوا عنه كذب الكذابين ، ووضع الوضاعين •

وما كان للزبد قدرة على أن يقف أمام ما ينفع الناس فذهب جفاء ومكث علم النبى صلى الله عليه وسلم على يد من اختارهم الله لهـذا الشأن العظيم فأعلى قدرهم ورفع شأنهم ، ذكرت هؤلاء كنمط رائع من شيوخ البخارى الثقات الذين عرفوا جميعا بالمكانة العلمية والسـلوك القويم • وكانوا أكثر من أن يحصروا ، لما لهـؤلاء من صـلة أقوى • وأثر واضح يتمثل فى عرض أسمى مؤلفاته عليهم « وهـو الجـامع الصحيح وشهادته له بالصحة وشهادة ابن راهوية لتاريخه الكبير وهما أسمى مؤلفات البخارى رحمه الله •

نهج البخارى فى الحفظ

وهب الله محمد بن اسماعيل البخارى استعدادا فطريا يتمثل فى قوة الذاكرة وصفاء الذهن •

والانسان مدين لنبوغه فى العلم الى استعداده الطبيعى وفطـرته السليمة ولكن لا يستقيم الاستعداد ولا يؤتى ثماره الا بالعمل والجد•

وهذا ما كان من نهج البخارى • أقبل بكليته على حفظ الحـديث فأزكى استعداده وبلغ فى الحفظ مبلغا أذهل العلمـاء ولما رأى القـوم نبوغه وقوة ذاكرته التى بلغت حـدا غير مألوف ظنـوا أنه شرب دواء للحفظ يقـول وراقة : محمد بن أبى حاتم فقلت له مرة فى خلوة : هل من دواء للحفظ ؟ فقـال لا أعلم ثم أقبل على فقال لا أعلم شـيئا أنفع للحفظ من تهمة الرجل ومداومة النظر (١) وبذلك قد سـبق البخـارى علماء النفس بمنهجه فى ازكاء القـدرات بالعمل فى يقظة والمداومة على التمرين •

كما سبقهم فى الاستعانة على التثبت بربط المعـلومات فقـد كان يربط بين الرجـل وبلده وعصره وشـيوخه وزمان ولادته ووفاته ،

---

(١) تاريخ بغداد ٩/٢ وطبقات السبكى ٧/٢ ومقدمة فتح البارى ٢٠١/٢ .

وأقواله كما يربط بين أقوال الصحابة والتابعين وبين الأصول من الكتاب والسنة حتى يصبح القول واضحا فى ذهنه من كل جوانبه وبهذا المنهج أصبح رأسا فى حفظ الأحاديث وأسانيدها •

وصاحب الملكة القوية فى تمييز صحيحها من سقيمها كما كان فى فهم معانيها •

عن سليم بن مجاهد يقول : كنت عند محمد بن سلام البيكندى فقال لى : لو جئت قبل •• لرأيت صبيا يحفظ سبعين ألف حديث فخرجت فى طلبه حتى لقيته فقلت له : أنت الذى تقول أنا أحفظ سبعين ألف حديث ؟ قال نعم وأكثر منه ولا أجيئك بحديث عن الصحابة والتابعين الا عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم •• ولست أروى حديثا من أحاديث الصحابة والتابعين الا وله أصل أحفظ ذلك عن كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وظل البخارى يتهم نفسه ويديم النظر حتى أصبح فريد عصره قال أبو بكر اللكواذانى : « ما رأيت مثل محمد بن اسماعيل كان يأخذ الكتاب من العلم فيطلع عليه اطلاعه • فيحفظ عامة أطراف الحديث من مرة واحدة (٢) • وقال اسحاق بن أحمد : سمعت فى سنة سبع وأربعين ومائتين • محمد بن ادريس الرازى أبا حاتم يقول : يقدم عليكم رجل من أهل خراسان لم يخرج منها أحفظ منه ولا قدم العراق أعلم منه فقدم علينا محمد بن اسماعيل بعد شهر • وهكذا كانت مكانة البخارى فى عصره ينتظر قدومه ويحتفل به قبل شهر من زيارته ، وقد عقد امتحان معضل فى بغداد مدينة العلم والعلماء فاجتازه بمهارة رائعة مذهلة •

عن أحمد بن الحسن الرازى قال : سمعت أبا أحمد بن عدى يقول : سمعت عدة مشايخ يحكون أن محمدا بن اسماعيل البخارى

---

(١) تاريخ بغداد ــ طبقات السبكى ج ٢ •

(٢) مقدمة فتح البارى ج ٢ ص ٢٠٠ •

قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعمدوا الى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الاسناد لاسناد آخر واسناد هذا المتن لمتن آخر .

ودفعوا الى عشرة أنفس الى كل رجل عشرة أحاديث وأمروهم اذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخارى وأخذوا العدة للمجلس فحضر المجلس جماعة أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرها ومن البغداديين فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب اليه رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث فقال البخارى « لا أعرفه » فسأله عن آخر فقال : « لا أعرفه » فما زال يلقى عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخارى يقول : لا أعرفه فكان الفهماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم الى بعض ويقولون : الرجل فهم ، ومن كان منهم غير ذلك يقضى على البخارى بالعجز والتقصير وقلة الفهم ثم انتدب آخر من العشرة ، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة فقال البخارى : لا أعرفه فسأله عن آخر فقال لا أعرفه فلم يزل يلقى عليه واحدا بعد الآخر حتى فرغ من عشرته والبخارى يقول : لا أعرفه ثم انتدب اليه الثالث والرابع الى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة والبخارى لا يزيدهم على ألا أعرفه فلما علم البخارى أنهم قد فرغوا التفت الى الأول منهم فقال : أما حديثك الأول ، فهو كذا والثانى فهو كذا .. والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة فرد كل متن الى اسناده ، وكل اسناد الى متنه وفعل بالآخرين مثل ذلك ورد متون الأحاديث كلها الى أسانيدها وأسانيدها الى متونها فأقر له الناس بالحفظ وأذعنوا له بالفضل (١) قال الحافظ ابن حجر : وهنا يخضع للبخارى فما العجب من رده الخطأ الى الصواب . فانه كان حافظا بل العجب من حفظه للخطأ على ترتيب ما ألقوه من مرة واحدة واذا علمنا أن الامتحان كان

---

(١) طبقات الشافعية ج ٢ ص ٦ .

من علماء بغداد فى عصرها الذهبى الزاهر بعلماء الاسلام ازداد تقديرنا لمواهب البخارى العلمية ، ومن هذا الامتحان الذى اجتازه البخارى يتبين بوضوح أن البخارى كان موسوعة علمية بمعرفة جميع الأحاديث بأسانيدها ومتونها ولهذه المقدرة العلمية حاز ثقة العلماء فالتف حول مجلسه عشرات الآلاف ينهلون من فيضه وشهدوا له بالحفظ والسبق ، عن صالح بن محمد البغدادى يقول : كان محمد بن اسماعيل يجلس ببغداد وكنت استملى عليه ويجتمع فى مجلسه أكثر من عشرين ألفا ، وقال أبو بكر محمد بن حريث : وسألت الفضل ابن العباسى الرازى أيهما أحفظ ؟ أبو زرعة أم محمد بن اسماعيل ؟

فقال : لم أكن التقيت مع محمد بن اسماعيل فاستقبلنى بين حلوان وبغداد فرجعت معه مرحلة وجهدت على أن أجىء بحديث لا يعرفه فما أمكننى وأنا أغرب على أبى زرعة عدد شعره (١) .

وقال : عمرو بن على : حديث لا يعرفه محمد بن اسماعيل ليس بحديث . وقال محمد بن أبى حاتم : سمعت حاشد بن اسماعيل وآخر يقولان : كان أبو عبد الله محمد بن اسماعيل يختلف معنا الى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام وكنا نقول له : انك تختلف معنا ولا تكتب فما معناك فيما تصنع ؟ فقال لنا بعد ستة عشر يوما انكما أكثرتما على وألححتما فأعرضا على ما كتبتما فأخرجنا ما كان عندنا فزاد على خمسة عشر ألف حديث فقرأها كلها عن ظهر قلب حتى جعلنا نحكم على حفظه ثم قال : أترون انى أختلف هدرا وأضيع أيامى ؟ فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد .

وكان أهل المعرفة من البصرة يعدون خلفه فى طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه ، على نفسه ويجلسوه فى بعض الطريق فيجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه . وكان أبو عبد الله عند ذلك شابا لم يخرج وجهه (٢) .

---

(١) مقدمة فتح البارى لابن حجر ج ٢ ص ١٩٩ .

(٢) تهذيب الاسماء واللغات للنووى ج ١ ص ١٠ .

معــرفة البخارى بعلوم الحديث

وكما أن البخارى حجة فى الحفظ فهو حجة فى فهم علل الحــديث ومرجع لكبــار علماء عصره • وموضع اكبارهم واجلالهم قال ابراهيم الخواص :

رأيت أبا زرعة كالصبى جالسا بين يدى محمد بن اسماعيل يسأله عن علل الحديث (١) • وقال حاشد بن عبد الله : رأيت محمد بن رافع وعمرو بن زرارة عند محمد بن اسماعيل وهما يسألانه عن علل الحديث فلما قاما قالا لمن حضر : لا تخدعوا ان أبا عبد الله أفقه منا وأبصر (٢) • ويقول أبو حامد الأعمش : رأيت محمد بن اسماعيل فى جنازة ومحمــد ابن يحيى الذهلى « امام نيسابور وشيخ البخارى » يسأله عن الأسماء والكنى وعلل الحديث والبخارى يمر فيها مثل السهم كأنه يقرأ « قل هو الله أحد » (٣) •

وقد شهد للبخارى تلميذان من تلامذته طبقت شهرتهما الآفاق •• هما الامام مسلم بن الحجاج والامام أبو عيسى الترمذى •

قال أحمد بن حمدون : جاء مسلم بن الحجاج الى البخارى فقبل بين عينيه وقال : دعنى أقبل رجليك يا أستاذ الأساتذة ويا سيد المحدثين ويا طبيب الحديث فى علله (٤) •

ويقول له : لا يبغضك الا حاسد وأشهد أن ليس فى الدنيا مثلك •

قال أبو عيسى الترمذى : « لم أر بالعراق ولا بخراسان فى معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد بن اسماعيل » (٥) •

---

(١) الحديث المعل هو الذى اطلع فيه على علة تقدح فى صحته مع أن الظاهر الســلامة منها • مقدمة ابن الصلاح ص ٩٨ وذلك كالارسال فى الموصول والوقف فى المرفوع •

(٢) التهذيب لابن حجر ج ٩ ص ٥٣ •

(٣) البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٦ •

(٤) البداية والنهاية ج ١١ ص ٩٦

(٥) تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٧ •

نهج البخارى فى قراءة القرآن

القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودليل رسالته • والداعى الى السنة والتزامها « وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » •

والسنة هى المبينة للقرآن (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) من هذين المصدرين أشرقت الرسالة المحمدية فمن درس القرآن عرف مكانة السنة وشغف بها ومن عرف السنة فهم القرآن أدق فهم ، فأمير المؤمنين فى الحديث من الطبيعى أن يكون أعرف الناس بدلالة القرآن ومعانية وتفسيره فى ضوء السنة ومن هنا نبع شعوره بعظمة القرآن وجلاله فلم يرتله بلسانه فقط ويقصره على حنجرته وانما يعمل فيه بصره وفكره ويشغل به قلبه وسمعه ويدقق فى أمثاله ويعرف حلاله من حرامه وهذه هى القراءة المجيدة المفيدة • التى جعل الله فيها الشفاء والرحمة •

سئل الدرامى عن حديث وقيل له ان البخارى قد صححه فقال : محمد بن اسماعيل أبصر منه ، وهو أكيس خلق الله ، عقل عن الله ما أمر به ونهى عنه فى كتابه ، وعلى لسان نبيه اذا قرأ محمد القرآن شغل قلبه وبصره وسمعه وتفكر فى أمثاله وعرف حلاله من حرامه (١) •

---

(١) ترجمة البخارى طبع المنيرية ص ٢١ •

الباب الثانى

حياة البخارى العامة

« محمد بن اسماعيل كان أمة من الأمم
دينا فاضلا يحسن كل شىء »

العجلى

مكانة البخارى فى الصلاح والورع

ان سر نبوغ البخارى ووصوله الى المكانة العلمية الفريدة انما هو حبه لله ورســـــوله ولو لم يكن محبا لرسول الله صلى الله عليـــه وسلم وتعاليمه • لما استطاع أن يصل الى هذه المكـــانة العلمية فى الأحـــاديث فمن المعلوم أن طالب العلم لا ينبغ النبوغ القـــوى الا فيما حبب الى نفسه وانشرح له صدره •

وتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم كلها فياضـــة بالدعـــوة الى التقوى ومكارم الأخلاق •

ولا يكون مبالغا من يقول بأن البخارى رحمه الله اتخذ الرســـول قدوته • وطبق تعاليمه على نفسه فاجتمعت فيه كل المعانى الكريمة •

فهو مكثر العبادة ، يصلى فيسلم وجهه وقلبه لله وينصرف بكليتـــه اليه فى خشوع المؤمن السعيد بعبادته وقراءته •

عن محمد بن أبى حاتم الوراق قال : دعى محمد بن اسماعيل الى بستان بعض أصحابه فلما حضرت صـــلاة الظهر صلى القـــوم ثم قام للتطوع فأطال القيام فلما فرغ من صلاته رفع ديل قميصه فاذا زنبور قد أبره فى ستة عشر موضـــعا وقـــد تورم من ذلك الجســـد وكان آثار الزنبور فى جسده ظاهرة • فقال له بعضهم : كيف لم تخرج من الصلاة فى أول ما أبرك ؟

فقال : كنت فى سورة فأحببت أن أتمها وعن نسج بن سعيد قال(١):

---

(١) فى الطبقات وتاريخ بغداد واما فى المقدمة « مقسم » •

كان محمد بن اسماعيل البخارى اذا كان أول ليلة من رمضان يجتمع اليه أصحابه فيصلى بهم ويقرأ فى كل ركعة عشرين آية وكذلك الى أن يختم القرآن ، وكان يقرأ القرآن فى السحر فى كل ثلاث ليال • وكان يختم بالنهار فى كل يوم ختمة ويكون ختمه عند الافطار فى كل ليلة ويقول عند كل ختم دعوة مستجابة (١) ، وهذا الاتصال الدائم بالله عن طريق العبادة أضفى عليه حسن المعاملة مع الناس فكان شديد الورع فى معاملته يخاف الشبهات •

قال أبو سعيد « بكر بن منير » : كان حمل الى محمد بن اسماعيل بضاعة انفدها اليه فلان اجتمع بعض التجار اليه بالعشية ، فطلبوها بربح خمسة آلاف درهم فقال لهم : انصرفوا الليلة فجاءه من الغد تجار آخرون فطلبوا منه تلك البضاعة بربح عشرة آلاف درهم فردهم وقال : انى نويت البارحة أن أدفع الى الذين طلبوا منى أمس بما طلبوا أول مرة وقال : لا أحب أن أغير نيتى (٢) ، وعن عبد الله بن محمد الصيارفى : كنت عند محمد بن اسماعيل فى منزله فجاءته وأرادت دخول المنزل فعثرت على محبرة بين يديه فقال لها : كيف تمشين ؟ قالت : اذا لم يكن طريف كيف أمشى ؟ فبسط يديه وقال : اذهبى فقد أعتقتك • فقيل له يا أبا عبد الله أغضبتك ؟ فقال : أرضيت نفسى بما فعلت (٣) •

فما أروع هذا السمو فى المعاملة ، شعر احساسه الدينى المرهف بأنه أغضب الجارية باعتراضه التأنيبى الرقيق اليها ، فكفر عن ذلك باعتاقها حتى يرضى نفسه الطيبة النقية ويقول : وراقه سمعته يقول لأبى معشر الضرير : اجعلنى فى حل يا أبا معشر فقال : من أى شىء ؟ فقال : رويت حديثا يوما عنك • فنظرت اليك وقد أعجبت به وأنت تحرك

---

(١) تاريخ بغداد ج ٢ ص ١١ •
(٢) طبقات الشافعية ج ٢ ص ١٠ •
(٣) مقدمة الفتح ج ٢ ص ١٩٥ لابن حجر •

رأسك ويديك فتبسمت من ذلك قال : أنت فى حل ــ يرحمك الله يا أبا عبد الله (١) .

وعن وراقة : سمعته يقول ما اغتبت أحدا قط منذ علمت أن الغيبة حرام .

قال بكر بن منير : سمعت محمد بن اسماعيل البخارى يقول : انى لأرجو أن ألقى الله ولا يحاسبنى انى اغتبت أحدا (٢) . وسمعه وراقه يقول : لا يكون لى خصم فى الآخرة فقال له : ان بعض الناس ينقمون عليك التاريخ ويقولون فيه اغتاب الناس فقال : انما روينا ذلك ولم نقله من عند أنفسنا . وقد قال : النبى صلى الله عليه وسلم بئس أخو العشيرة (٣) ويقول ابن حجر : كان البخارى فى كلامه فى الرجل توق زائد وتحر بليغ فمن تأمل كلامه فى الجرح والتعديل فان أكثر ما يقول : سكتوا عنه ، فيه نظر ، تركوه ، ونحو هذا .

وقل أن يقول : كذاب أو وضاع وانما يقول كذبه فلان « ورماه فلان » يعنى بالكذب وهذا من شدة ورعه .

وعن الذهبى : أبلغ تضعيفه فى المجروح منكر الحديث . ويقول البخارى : (٤) كل من قلت عنه منكر الحديث فلا تحل الرواية عنه ، وأكسبه ورعه التحرى فى الدقة والأمانة العلمية قال وراقة سئل عن خبر حديث فقال : يا أبا فلان ترانى أدلس وقد تركت عشرة آلاف حديث لرجل فيه نظر وتركت مثلها أو أكثر منها لغيره لى فيه نظر ؟

وقد نفى النوم عن عينيه نفس أبيه مشغولة بالعلم والعبادة ومكارم الأخلاق ، قال وراقة : اذا كنت معه فى سفر يجمعنا بيت واحد الا فى القيظ ، فكنت أراه يقوم فى الليلة الواحدة خمسة عشرة مرة الى عشرين

---

(١) تاريخ بغداد جـ ٢ ص ١٣ .
(٢) الطبقات جـ ٢ ص ٩ لابن السبكى .
(٣) البداية والنهاية جـ ١١ ص ١١٩ .
(٤) الطبقات جـ ٢ ص ٩ لابن السبكى .

مرة • وفى كل مرة يأخذ القداحة فيرى نارا فى يـده ويسرج ويخـرج أحاديثه فيعلم عليها ثم يضـع رأسه • فقلت : انك تحمل على نفسـك كل هذا ولا توقظنى ؟ فقال : أنت شاب فلا أحب أن أفسـد عليك نومك وكان يصلى وقت السحر ثلاث عشرة ركعة ويوتر منها بواحدة • وكـان معه شىء من شعر النبى صلى الله عليه وسلم (١) •

وهذه الحالة النفسية من قيامه مرات بالليل تمثـل مـدى اهتمامه بالعلم وتركيز الذهن فيه فكلما تذكر شيئا سجله وهـذا خلق العلمـاء المنصرفين للتأليف والعلم ، وما أكرم خلقه وشعوره فى معاملته لتابعـه وراقه فى محافظته على راحته فلا يقلقه ويؤثر أن يصلح المصباح لنفسه وما أتقاه وأصفى نفسه فقبل أن يبدأ حياته العلمية فى الليـل يصفى نفسه بركعات تقربا الى ربه فى وقت الصفاء فى السحر وهـذا هو نهج المحدث الذى يعيش مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم •

كرم البخارى وزهده

ورث البخارى عن والده ثروة ضخمة مطهرة فلم يستغلها فى التنعم والتلذذ بالملذات الدنيوية بل عاش متقشفا زاهدا فى الترف الدنيـوى ، أكثر ما ينعم به فى طعامه أن يأكل مع الخبز سكرة ولم يكن هذا التقشف كاذبا وطريقا خداعا الى الشح بالمال وادخاره كما يتوارى فيـه بعض الناس وانما كان التقشف الصادق « ودليله الزهد فى المال وانفـاقه فى أوجه البر والاحسان مؤمنا بقوله تعالى : « وما عند الله خير وأبقى » « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » •

يقول البخارى : كنت أستغل فى كل شهر خمسمائة درهم• فأنفقها فى الطلب وما عند الله خير وأبقى (٢) •

---

(١) تاريخ بغداد جـ ٢ ص ١٣ •
(٢) الطبقات جـ ٢ ص ١١ •

وقال : وراقه كنا بفربر وكان أبو عبد الله يبنى رباطا (١) مما يلى بخارى فاجتمع بشر كثير يعينونه على ذلك وكان ينقل اللبن فكنت أقول : يا أبا عبد الله انك تكفى ذلك ، فيقول هذا الذى ينفعنى ، وكان ذبح لهم بقرة فلما أدركت القدور دعا الناس الى الطعام فكان معه مائة نفس أو أكثر ولم يكن علم انه يجتمع ما اجتمع وكنا آخرجنا معه من « فربر » خبزا بثلاثة دراهم وكان الخبز إذ ذاك خمسة أمنان بدرهم فألقيناه بين أيديهم فأكل جميع من حضر وفضلت أرغفة صالحة ، وكان قليل الأكل جدا كثير الاحسان الى الطلبة مفرط الكرم (٢) ويتبين من بين سطور هذا القول مشاركته فى عمل الخير بالمحافظة على ثغور المسلمين وكرمه المفرط فاستحق اكرام الله له بوضع البركة فى طعامه •

والبخارى دائما لا يؤثر الدنيا على الآخرة ولا يرضى أن يبيع دينه بدنياه فهو بعيد النظر فى خطواته يضحى بالدنيا الفانية من أجل الآخرة الباقية ، يقول وراقة عنه : انه ورث من أبية مالا جليلا وكان يعطيه مضاربة (٣) فقطع غريم خمسة وعشرين ألفا فقيل له استعن بكتاب الوالى فقال : ان أخذت منهم كتابا طمعوا ولن أبيع دينى بدنياى ثم صالح غريمه على أن يعطيه كل شهر عشرة دراهم وذهب ذلك المال كله (٤) واستبدل البخارى أمواله أضعافا مضاعفة فى سجل الحسنات وكان مصير هذه الثروة الجليلة التى ورثها أن أقرضها لله ابتغاء وجهه ورضوانه وأصبح غنيا برضاء الله له • وبما هداه اليه من ثروة علمية قال عمر بن حفص الأشقر : كنا مع محمد بن اسماعيل بالبصرة نكتب الحديث ففقدناه أياما : فطلبناه فوجدناه فى بيت وهو عريان وقد نفد ما عنده ولم يبق شىء فاجتمعنا وجمعنا له الدراهم حتى اشترينا له ثوبا وكسوناه

---

(١) فى مختار الصحاح الرباط ما تشد به الدابة والرباط ايضا ـ المرابطة وهى ملازمة الثغور ضد العدو • ورباط الخيل مرابطتها •

(٢) ترجمة البخارى ص ١٣ ط المنيرية •

(٣) ضاربة فى المال وهى القراض « مختار الصحاح » •

(٤) مقدمة فتح البارى ج ٢ ص ١٩٤ •

ثم اندفع معنا فى كتابه الحديث (١) • والكريم قريب من الله وهـو معه يرزقه من حيث لا يحتسب تأخرت نفقته حتى جعـل يتنـاول حشيش الأرض فلما كان فى اليوم الثالث يقول : أتانى رجل لا أعرفه فأعطـانى صرة فيها دنانير (٢) •

ووطد البخارى نفسه على أن يكون فى ذروة الثقاة الأطهار الأبرار بكل ما تشمله التقوى من المعانى السامية النبيلة حتى يكـون ربانيـا يدعو فيستجاب له :

وهذا المنهج الذى رسمه لحياته وطبقه أتم تطبيق كان ينـادى به ويدعو المسلمين اليه ويريد أن يكون كل مسلم متحليـا بالتقـوى التى تؤهله لاسـتجابة الدعاء منه ، ولا ينبغى للمسـلم أن يكـون غير ذلك يقول وراقة قال البخارى : « ماينبغى للمسلم أن يكون بحالة اذا دعـا لم يستجب له » والدعوة الى التقوى والعبادة وتذكر المـوت وحسـن الخلق كانت طبيعته ودعوته التى دائما يدعو اليها حتى فيما أثر عنه من أشعار قليلة قال الحاكم ابو عبد الله (٣) : قرأت بخط أبى على المستملى وأنشد البخـارى :

أغتنم فى الفراغ فضـل ركوع	فعسى أن يكون مـوتك بغتـه
كم صحيح رأيت من غير سقم	ذهبت نفسه الصـحيحة فلته

قال وأنشد أيضا :

خالق النـاس بخلق واسـع	لا تكن كلبـا على النـاس تهر

وقـال :

أن تبـق تفجـع بالأحبة كلهم	وفناء نفسـك لا أبالك أفجـع

---

(١) تاريخ بغداد جـ ٢ ص ١٣ •

(٢) الطبقات جـ ٢ ص ١١ •

(٣) الطبقات الشافعية جـ ٢ ص ١٥ ومقدمة الفتح جـ ٢ ص ١٩٦ •

فأشعاره (١) تدعو الى لزوم عدم ضياع الوقت بل ينبغى اشـــغاله بالعبادة وأن يكون المسلم صاحب خلق حســـن يســـلم النـــاس من شره وضرره « وينتفعون بخيره وبره » •

مهارته واستعداده للجهاد

والبخارى الذى اهتم بحفظ الحديث وفهمه اهتم بتطبيـــق ما أمر الله به ورسوله فاتخذ هذا منهجا فى سيرته فكانت حميدة للغاية رائعـــة فى كل جوانبها •

عرف قيمة الجهاد فى الاسلام وشجاعة الرسول صلى الله عليـــه وسلم ومهارته فى الحرب فاتخذه القدوة الحسنة فتعلم استعمال آلات الحرب وأتقن الجهاد ونبغ فى أشق أمور الحرب وأرقاها حينئذ رمـــاه الرمى « وكان فيه الممتاز على غيره بحيث لا يخطىء الهـــدف اذا رمـــاه مرات عديدة » (٢) واهتم بثغور المسلمين الاهتمـــام البالغ ولم يشـــغله العلم عن ذلك وهكذا النفوس الكبيرة كما يقول ابن سينا : لا يشغلها شىء عن شىء والنفوس النقية يبارك الله لها فى وقتهـــا بفضـــل الاخـــلاص والعمل • قال وراق البخارى : رأيته استلقى ونحن « بفربر » فى تصنيف كتاب التفسير وكان أتعب نفسه فى ذلك اليوم فى التخريج فقلت لـــه : انى سمعتك تقول : ما أتيت شيئا بغير علم فما الفائدة من الاســـتلقاء ؟ قال : أتعبت نفسى اليوم وهذا ثغر خشيت أن يحدث فيه حدث من أمر

العدو فأحببت أن أستريح وآخذ أهبة وان غافصنا العدو « فاجأنا على غرة » كان بنا حراك وقال : كان ابو عبد اللـــه يركب الى الرمى كثيرا فما أعلم فيما رأيته فى طول ما صحبته أخطأ سهمه الهدف الا مرتين ، بل كان يصيب فى كل ذلك ولا يسبق قال : ركبنا يومـــا الى الرمى ونحن بفربر فخرجنا الى الدرب الذى يؤدى الى الفرضة فجعلنا نرمى فأصاب سهم أبى عبد الله وتد القنطرة التى على النهر فانشق الوتد فلما رأى

(١) ترجمة البخارى المطبعة المنيرية ١٦ •
(٢) ترجمة البخارى المنيرية •

ذلك نزل عن دابته فأخرج السهم من الوتد وترك الرمى وقال لنا : أرجعوا . فرجعنا . فقال لى وهو يتنفس الصعداء : يا أبا جعفر لى اليك حاجة فقلت نعم . قال : تذهب الى صاحب القنطرة فتقول : انا أخللنا بالوتد ، فنحب أن يأذن لنا فى اقامة بدله ، أو تأخذ ثمنه وتجعلنا فى حل مما كان منا . وكان صاحب القنطرة حميد بن الأخضر فقال لى : ابلغ أبا عبدالله السلام وقل له : أنت فى حل مما كان منك ، فان جميع ملكى لك الفداء . فأبلغته الرسالة فتهلل وجهه وأظهر سرورا كثيرا . وقرأ ذلك اليوم للغرباء خمسمائة حديث وتصدق بثلاثمائة درهم (١) .

قضية البخارى مع محمد بن يحيى الذهلى

محمد بن يحيى الذهلى شيخ المحدثين بنيسابور ومن تلامذته البخارى ومسلم بن الحجاج ومجلسه فى نيسابور قبلة العلماء ومجمعهم العلمى وعندما قدم البخارى نيسابور كان محمد بن يحيى الذهلى من المرحبين به العارفين قدره فى علمه وصلاحه فأوصى الناس بالاستفادة من علم البخارى — وما كان يدور بخلده : أن مجلس البخارى سيحظى بالاقبال الفائق حتى ينصرف الناس الى مجلسه فيحصل الخلل فى مجلس الذهلى .

قال الحسن بن محمد بن جابر « قال لنا الذهلى لما ورد البخارى نيسابور . اذهبوا الى الرجل الصالح فاسمعوا منه فذهب الناس اليه وأقبلوا على السماع منه حتى ظهر الخلل فى مجلس الذهلى فحسده بعد ذلك وتكلم فيه » (٢) .

وكان أثر فتنة القول بخلق القرآن كما هو رأى القاضى أحمد بن أبى داود المعتزلى ومن معه من المعتزلة الذين ينكرون الصفات القديمة لله ومنها الكلام خوف تعدد القدماء على زعمهم ، وما دروا أن الممنوع هو تعدد الذوات لا الصفات لذات واحدة وكانت هذه الفتنة قد ظهرت

---

(١) تهذيب الاسماء ج ١ ص ٧٥ والطبقات ج ٢ ص ١٠ .
(٢) طبقات الشافعية ج ٢ ص ١١ لابن السبكى .

فى عهد المعتصم والواثق وأوائل عهد المتوكل وكانت مثار خلاف المعتزلة فى مقابل أهل السنة القائلين بقدم القرآن ــ كلام الله القديم معناه ومدلوله قديم وهو نوع من أنواع صفة الكلام النفسية القديمة القائمة بذاته تعالى .

وكان مع المعتزلة الحكام المتأثرون بهم وعلى رأسهم المأمون وامتحن فيها كبار أهل السنة ومنهم الامام أحمد بن حنبل واحمد بن نصر الخزاعى وأبو يعقوب البويطى واستعر أوار الفتنة حتى أدت الى مختلف أنواع التعذيب واستمرت من سنة ٢١٨ ــ ٢٣٤ هـ حتى أخمدها المتوكل وانتصر لأهل السنة ونهى عن الكلام فى هذه المسألة والنهى عن الكلام فى مشاكل علم الكلام هو شأن السلف فقد ضرب عمر بن الخطاب من يتكلم فى القدر وطرده وقال مالك للسائل عن معنى الاستواء : الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة وهذا هو منهج أحمد ابن حنبل كما هو منهج البخارى .

والقرآن كلام الله غير مخلوق كما عليه أهل السنة والحق هو ما ذهب اليه الامام البخارى . وهناك فرق بين القرآن وبين القراءة كما يقول البخارى : يقال فلان حسن القراءة ورديء القراءة ولا يقال حسن القرآن ولا رديء القرآن فالقديم القرآن وهذا (١) ما قال به السلف وأما التلفظ فذهب أهل السنة بل جميع الأمة الى أن التلفظ بالقرآن أى حرفية اللفظ وصوته الذى تنطقه ألسنتنا وتتلفظ به وتكتبه أيدينا حادث غير قديم ولا عبرة لما ينسب الى الحنابلة عن طريق جماعة من غلاة الحشوية من أنه قديم أيضا فهى رواية شاذة معارضة لصريح العقل ومنافية لصحيح النقل وما روى عن الامام أحمد رضى الله عنه من رميه من زعم ذلك بالاعتدال والكفر فعلى تسليم صحته وأنه ليس من وضع الحشوية التى انتسبت ظلما اليه وأساءت أبلغ الاساءة لمذهبه ليس محمولا على ظاهره بل المراد منه التنفير من التصريح به والزجر

---

(١) مقتبس عن كلام مقدمة البخارى لفضيلة الشيخ عبد الغنى بتصرف ص ٨٧ .

عن الخوض فيه خشية أن يتأثر ويجره ذلك الى القول بمذهب الاعتزال وانكار صفة الكلام القديمة أو خشية أن يتأول متأول ويحمله على مذهب المعتزلة ويشنع بقائله ويؤكد ذلك قول ابن السبكى فى ترجمة الحسين بن على الكرابيسى صاحب الشافعى (١) .

قيل للكرابيسى « ما تقوله فى القرآن قال كلام الله غير مخلوق فقال له السائل فما تقول فى لفظ القرآن ؟ فقال : لفظك به مخلوق فمضى السائل الى أحمد بن حنبل فشرح له ما جرى فقال هذه بدعة والذى عندنا أن أحمد بن حنبل ، رضى الله عنه أشار بقوله هذه بدعة الى الجواب عن مسألة التلفظ اذ ليست مما يعنى المرء وخوض المرء فيما لا يعنيه من الكلام بدعة فكان السكوت عن الكلام فيه أجمل وأولى . ولا يظن بأحمد رضى الله عنه أنه يدعى أن اللفظ الخارج من بين الشفتين قديم . ومقالة الحسين هذه قد نقل مثلها عن البخارى والحارس بن أسد المحاسبى ومحمد بن نصر المروزى وغيرهم فمن جراء فتنة خلق القرآن وما كان لها من أثر فى اهانة كثير من الصالحين تغالى بعض العامة واشتبه عليه فبدعوا كل من قال بحدوث ما يمس عوارض القرآن .

وقد استغل محمد بن يحيى الذهلى كراهية النفوس لمن يتكلم فى القرآن فأراد أن يوقع البخارى فى هذا الأمر حتى ينفر الناس عن مجلسه وينسبوه الى الاعتزال .

قال الحافظ بن عدى (٢) ذكر لى جماعة من المشايخ أن محمد بن اسماعيل لما ورد نيسابور واجتمع الناس عنده حسده بعض شيوخ الوقت فقال لأصحاب الحديث ان محمد بن اسماعيل يقول : لفظى بالقرآن مخلوق فلما حضر المجلس قام اليه رجل ، فقال : يا أبا عبد الله ماتقول فى اللفظ بالقرآن مخلوق هو ؟ أو غير مخلوق ؟ فأعرض عنه البخارى ولم يجبه ثلاثا . فألح عليه . فقال البخارى القرآن كلام الله

(١) طبقات الشافعية ج ١ ص ٥٢ .
(٢) الطبقات ٢ ص ١١ ومقدمة الفتح ج ٢ ص ٢٠٣ .

غير مخلوق وأفعال العباد مخلوقة والامتحان بدعة فشغب الرجل وقال قد قال لفظى بالقرآن مخلوق وشغب الناس وتفرقوا عنه ، فالبخارى يلتزم لمذهب السلف فيتحرج عن الخوض صراحة فيما يثير الفتن ويعرض عن السائل ويعترض عليه مبينا له بأن الامتحان فى مثل هذا الأمر انما هو بدعة وهذا رأى السلف كالامام مالك والامام أحمد فالسكوت عند عدم الاحتياج اليه سنة ولكن عند الاحتياج اليه يضطر العالم لتبين الصواب وهذا هو ما رآه البخارى وقال محمد بن يوسف الفربرى (١) .

سمعت أبا عبد الله محمد بن اسماعيل يقول ان أفعال العباد مخلوقة فقد حدثنا على ابن عبد الله حدثنا مروان بن معاوية حدثنا أبو مالك عن ربعى بن حراش عن حذيفة قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله يصنع كل صانع وصنعته قال أبو عبد الله وسمعت عبيد الله بن سعيد يقول « مازلت أسمع أصحابنا يقولون أن أفعال العباد مخلوقة قال أبو عبد الله البخارى حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة فأما القرآن المتلو المبين المثبت فى المصاحف المسطور المكتوب الموعى فى القلوب فهو كلام الله غير مخلوق قال تعالى « بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم » زاد فى المقدمة قال : وقال اسحق بن راهوية أما الأوعية فمن يشك انها مخلوقة ؟ وقال فى الطبقات وقال البخارى يقال فلان حسن القراءة وردىء القراءة ولا يقال حسن القرآن وردىء القرآن وانما ينسب ذلك الى القرآن لأن القرآن كلام الرب والقراءة فعل العبد وليس لأحد أن يشرع فى أمر الله بغير علم زعم بعضهم أن القرآن بألفاظنا وألفاظنا به شىء واحد والتلاوة هى المتلو والقراءة هى المقروء فقيل له أن التلاوة فعل القارىء وعمل التالى فرجع وقال ظننتهما مصدرين فقيل له هلا أمسكت كما أمسك كثير من أصحابك ، ولو بعثت الى من كتب عنك واستردت ما أثبت وضربت عليه فزعم أن كيف يمكن هذا ؟ وقال قلت

(١) تاريخ بغداد ج ٢ ص ٣١ والطبقات ج ٢ ص ١١ ومقدمة الفتح ج ٢ ص ٢٠٣ .

ومضى فقلت له كيف جاز أن تقول فى الله شيئا لا يقوم به شرح وبيـــان اذا لم تميز بين التلاوة والمتلو ؟ فسكت اذ لم يجد عنده جوابا •

وقد حقق التاج السبكى فى طبقاته (١) موقف البخارى فقال كان البخارى على ما روى فيه ممن قال لفظى بالقرآن مخلوق وقال محمـــد ابن حسن الزهلى : من قال وزعم أن لفظى بالقرآن مخلوق فهو مبتدع وانما أراد محمد بن يحيى والعلم عند الله ما أراده أحمد بن حنبل من النهى عن الخوض فى هذا ولم يرد مخالفة البخارى وان خالفـــــه وزعم أن لفظه الخارج من بين شفتيه المحدثتين قديم فقد باء بأمر عظيم والظن به خـــلاف ذلك وانما أراد هو وأحمد وغيرهم من الأئمـــة النهى عـــن الخوض فى مسائل الكلام • وكلام البخارى عندنا محمول على ذكر ذلك عند الاحتياج اليه فالكلام عند الاحتياج اليه واجب والســـكوت عنـــه عند عدم الاحتياج اليه سنة فافهم ذلك ودع خرافات المخرفين واضرب صفحا عن تمويهات الضالين الذين يظنون أنهم محدثون وأنهم عنـــــد السنة واقفون وهم عنها مبعدون •

وكيف يظن بالبخارى أنه يذهب الى شىء من أقوال المعتزلة وقـــد صح عنه فيما رواه الفربرى وغيره أنه قال انى لأستجهل من لا يكفـــر الجهمية ؟ ولايرتاب المنصف فى أن محمد بن يحيى الذهلى لحقته آفـــة الحسد التى لم يسلم منها الا أهل العصمة وقد سأل بعضهم البخارى عما بينه وبين محمد بن يحيى فقال البخارى كم يعترى محمد بن يحيى الحسد فى العلم والعلم رزق الله يعطيه من يشاء •• ولقد أبان البخارى عن عظيم ذكائه حيث يقول وقد قال له أبو عمرو بن الخفاف أن الناس خاضوا فى قولك فقـــال : يا أبا عمرو من زعم أنى قلت لفظى بالقـــرآن مخلوق • فهو كذاب فانى لم أقله الا أنى قلت أفعال العباد مخلـــوقة قلت : تأمل كلامه ما أذكاه ومعناه والعلم عند الله انى لم أقل أن لفظى بالقرآن مخلوق لأن الكلام فى هذا خوض فى مسائل الكلام وصـــفات الله لا ينبغى الخوض فيها الا للضرورة ولكن قلت أفعال العباد مخلوقة وهى قاعدة مغنية عن تخصيص هذه المسألة بالذكر فان كل عاقل يعلم

(١) طبقات الشافعية ج ٢ ص ١٢ •

ان الفاظنا من جملة أفعالنا وأفعالنا مخلوقة ولقد أفصح بهذا المعنى فى رواية أخرى صحيحة عنه رواها حاتم بن أحمد الكندى فقال سمعت مسلم بن الحجاج فذكر الحكاية المتقدمة وفيها أن رجلا قام الى البخارى وسأله عن اللفظ بالقرآن ؟ فقال أفعالنا مخلوقة وألفاظنا من أفعالنا وفى الحكاية انه وقع بين القوم اذ ذاك اختلاف على البخارى فقال بعضهم قال : لفظى بالقرآن مخلوق وقال آخرون لم يقل فلم يكن الانكار الا على من يتكلم فى القرآن وقد اضطر البخارى لأن يسكن الفتنة بخروجه من نيسابور الى بخارى وقد روى انه لما قام مسلم بن الحجاج وأحمد بن مسلمة من مجلس محمد بن يحيى يسبب البخارى • قال الذهلى لا يساكننى هذا الرجل فى البلد فخشى البخارى وسافر ، فنجد أن البخارى فى محنته هذه لم يقترف اثما وأن ما أثير حوله أنما هو وليد الحسد من النفوس البشرية ومحمد بن يحيى رحب بالبخارى عند قدومه ولكن الشيطان للانسان عدو مبين فحسده عندما رأى أنه احتل مكان الصدارة والتف حوله القوم وتركوا الذهلى فاستغل اثارة النفوس وحساسيتها بالنسبة لفتنة القرآن وتابعه على ذلك الذين انتقدهم البخارى وجرحهم بالتضعيف واستعملوا التشويش على العامة الذين لا يفرقون بين القرآن والقراءة وكان البخارى دقيقا فى تعبيره ملتزما مذهب السلف حيث أعرض عن السائل أولا ثم لما ألح عليه بين له أن السؤال بدعة وأجابه اجابة بينه لأن أفعال الرجال مخلوقة وألفاظنا من أفعالنا وكان فى اجابته الضمنية الدليل على صدق قوله ومع ذلك فقد آثر السفر الى بخارى حتى لا تكون فتنة وهو فى ذلك لم يخالف السلف بل كان على مذهب أستاذه الامام أحمد الذى يرى أن التبرع بالكلام فيما يثير الجدل بالنسبة الى صفات الله انما هو بدعة والقرآن عند محمد ابن اسماعيل هو كلام الله غير مخلوق قال محمد بن نعيم (١) سأل محمد ابن اسماعيل لما وقع فى شأنه ما وقع عن الايمان فقال قول وعمل يزيد وينقص والقرآن كلام الله غير مخلوق وأفضل الصحابة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على وعلى هذا حييت وعليه أموت وعليه أبعث ان شاء الله•

(١) التهذيب ج ٩ ص ٥٣ لابن حجر •

اعتـــزاز البخـــارى بعلمـــه

ومحنته مع أمير بخارى خالد بن أحمد الذهلى

ترك البخارى نيسابور ايثارا للسلامة وعدم الفتنة وذهب الى بلدته بخارى واستقبل أروع استقبال « فنصبت له القبـــاب على فرسخ من البلد واستقبله عامة أهل البلد حتى لم يبـــق مذكور ونثر عليه الدراهم والدنانير » (١) .

والتف حوله الناس فى مجلسه فى المســجد والمنزل والكل عنـــده سواء فى توجيه العناية والاستفادة من علمه ونشر سنة النبى صلى عليه وسلم فوجد فيه العلماء أنه الأمل المرجو والمرجع الأصيل فأقبلوا عليـــه للاستفادة منه ، ومثل البخارى فى اخلاصه للعلم وقوته يهمه أن يرضى نهم الناس ارضاء الله وأن يكون النفع عاما للجميع وليس لديه من الوقت فسحة للدرس الخاص وليس فى نفسه الـــدافع الى التقرب الى الأمير على حساب مصلحة الغير لأنه استمد جاهه واحترامه من سلطان العلم ، وشعور العالم برضاء ربه وسيره فى طريقه وتأدية رسالته يكسب العالم سعادة كاملة وعزا وسلطانا وكيانا يرى نفسه فى وضع كريم غير محتاج الا لله وحده ، فلما طلب أمير بخارى خالد بن أحمد ان يأتيـــه بكتبـــه حتى يسمعها له ولأولاده فى قصره خاصة رفض البخارى أن يســـتجيب لطلبه وقال « فى بيت العلم والحلم يؤتى » فأفهمه أن العلم يسعى اليه فراسله الأمير طالبا أن يعقد مجلسا لاولاده لا يحضره غيرهم ويحضر الأولاد اليه فامتنع أيضا وقال « لا يسعنى أن أخص بالسماع قوما دون آخرين » . قال أبو سعيد بكر بن منير البخارى « بعث الأمير خالد بـــن أحمد الذهلى والى بخارى وخليفة ابن طاهر الى محمد بن اســـماعيل أن احمل الى كتاب الجامع والتاريخ وغيرهما الأســـمع منك فقـــال محمد

---

(١) مقدمة الفتح ج ٢ ص ٢٠٥ .

ابن اسماعيل لرسوله قل له : انى لا أذل العلم ولا أحمله الى أبواب ، السلاطين فان كان لك الى شيء منه حاجة فأحضرنى فى مسجدى أو فى دارى وان لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعنى من الجلوس ليكون لى عذر عند الله يوم القيامة لأنى لا أكتم العلم لقول النبى صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجم بلجام من نار • فكان سبب الوحشة بينهما هذا (١) •

فأصر الأمير فى نفسه العداوة للبخارى وصار يتحين لـــه الفرص حتى وصله كتاب محمد بن يحيى الذهلى الذى لم يكتف بصرف النـــاس عن البخارى فى نيسابور فلم يقنع برحيله منها رغبة فى تسكين الفتنـــة فواصل عداءه للبخارى بكتاباته للولاة والعلماء بالتشنيع على البخارى بمسألة اللفظ ورميه بالاعتزال جذافا وبهتانا وممن كتب اليهم من العلماء أبو حاتم وأبو زرعة الرازى كما كتب الى الأمير خالد بن يحيى الذهلى نائب الطاهرية ببخارى فلما وصل الأمير كتاب الذهلى انتهز الفرصـــة للانتقام من البخـــــارى وأراد أن يصرف الناس عـــن السماع منه وكان البخارى فى جامع بخارى مجلس يجلس فيه لاملاء العلم اليهم وكانوا يعظمونه جد التعظيم ويكرمونه أشد التكريم فلم ينفذوا ارادة الأمير ورغبته واستمروا فى التلقى عنه فأمر الأمير عند ذلك بنفيه وساعده جاهه على اخراجه من بلده وقال أبو بكر بن أبى عمرو الحافظ وممن ســـاعد على ذلك خالد بن أبى الورقاء وغيره من أهل العلم ببخارى حتى تكلموا فى مذهبه فنفاه عن البلد فخرج رضى الله عنـــه الى بيكنـــد « بلده بين جيحون وبخارى على مرحلة منهـــا » ثم الى خرتنك قرية تبعـــد عنها فرسخين أو ثلاثة وعند خروجه دعا عليهم فقال : اللهم أرهم ماقصدونى به فى أنفسهم وأولادهم وأهلهم فأما خالد فلم يأت عليه الا أقل من شهر حتى ورد أمر الظاهرية بأن ينادى عليه فنودى عليـــه وهـــو على أتان وأشخص على أكاف ثم صار عاقبة أمره الى ما قد اشـــتهر وشـــاع من

(١) تاريخ بغداد ج ٢ ص ٣٢ طبقات الشافعية ج ٢ ص ١٤ مقدمة البخارى للشـــيخ عبد الغنى ص ٩٢ التهذيب لابن حجر ج ٩ ص ٥٢ .

من سجنه فى بغداد حتى أن مات ولم يبق أحد ممن ساعده فى اخراج البخارى الا ابتلى شديد البلاء وأما حديث ابن أبى الورقاء فانه ابتلى بأهله فرأى منهم ما يجل عن الوصف وأما فلان أحد القوم وسماه فانه ابتلى بأولاده وأراه الله منهم البلايا (١) والبخارى فى موقفه هذا يمثل عزة العلماء وتوكلهم على الله واستمدادهم القوة والعزة من الله وحده وقد وصل بطهارته وعلمه وصفاته الخلقية الى درجة يدعو الله فيستجيب له •

مكانة البخارى فى عصره

ان أبا عبد الله البخارى بعلمه وعقله وخلقه ودينه وصل الى درجة رفيعة فى الكمال الانسانى أجبرت الدنيا بأن تتطلع اليه وأنطقت الألسن والقلوب بالثناء عليه •

ورغم نباهة شأن شيوخه وأقرانه وعلماء عصره الزاهر بالعلم فانه استطاع أن يصل فى سلم الارتقاء الى درجات عالية تصعب على أفذاذ العلماء •

وقد تتابعت الروايات فى نباهة شأنه وتقدمه والشهادة له بالامامة فى العلم • واكتظت كتب الطبقات بالاسهاب فى هذا المعنى اسهابا لم يتوفر فى أى ترجمة من تراجم العلماء •

والمقدرون له الشاهدون بفضله على حد تعبير الامام النووى هم الأعلام أئمة المسلمين أولو الورع والدين والحفاظ النقاد المتقون الذين لا يجازفون بالعبارات بل يتأملونها ويحررونها ويحافظون على صيانتها أشد المحافظات •

والناظر يجد أن هذه الروايات انما تمثل اجماع المسلمين فى عصر البخارى اذ هى تشع من مراكز اشعاع العلوم بالعالم الاسلامى ولم يقتصر ذلك على أهل بلد بعينه وقد نسق الخطيب البغدادى هذه

---

(١) التهذيب حـ ٩ ص ٥٢ لابن حجر •

الروايات وقسمها بحسب أصحابها الى فصـــول ممتعـــة تبين أن مكانة البخارى مكانة عالمية قد طبقت الآفـــاق وان علمـــه أشرق على دنيـــا الاسلام فى عصره وان له الأثر الحسن فى كل بلد بما تركه فيه من علم نافع وخلق كريم وذكر هذه الروايات الذهبى فى ســـير أعـــلام النبلاء وذكرها باسهاب الخطيب البغدادى تحت العناوين الآتيـــة (وصـــف البصريين ومدحهم للبخارى) (وصف أهل الحجاز والكوفة) (ذكـــر البغدادين فضله) (قول أهل الرى فيه) •

(ما حفظ عن أهل خراسان وما وراء النهر من القول فيه)

وحسبى أن أمر سريعا قانعا بذكر نمـــاذج من تلك التقريرات لكى يعطينا فكرة واضحة عن مكانة البخارى فى عصره وتدلنا على أنه نشـــأ للعلم عظيما مقدرا منذ وجد وهـــذا انما يثبت فى النفـــوس قيمة مروياته ويبين لنا جليل عمله وفى طبيعة هـــذه النصـــوص القـــوة المعبرة التى لا تحتاج الى تعليق •

عن حاشد بن اسماعيل يقول كنت بالبصرة فسمعت قدوم محمد بن اسماعيل فلما قدم قال محمد بن بشـــار : دخل اليوم سيد الفقهـــاء • ويقول بندار محمد بن بشار : ما قدم علينا مثل محمد بن اســـماعيل• وعن أبى يوسف بن ريان قال : سمعت محمد بن اسماعيل يقول كان على ابن المدينى يسألنى عن شيوخ خراسان فكنت أذكر له محمد بن ســـلام فلا يعرفه الى أن قال لى يوما يا أبا عبد الله : كل من أثنيت عليه فهـــو عندنا الرضا ـــ ويقول البخارى ما تصاغرت نفسى عند أحد الا عنـــــد على بن المدينى فيقول على زروا قوله هو ما رأى مثل نفسه • وبلغ من تقدير القوم له وثقتهم به أنه الجامع الحديث ، أن يقول عمرو بن على حديث لا يعرفه محمد بن اسماعيل ليس بحديث • ويقـــول أبو معشر حمدوية بن الخطـــاب لما قدم أبو عبد الله محمد بن اسماعيل من العراق قدمته الأخيرة تلقاه من تلقاه من الناس وازدحموا عليه وبالغوا فى بره• فقيل له فى ذلك وفيما كان من كرامة الناس وبرهم فقال كيف ولو رأيتم يوم دخولنا البصرة •

وقد كان معلوما للقوم أن الحديث اذا انتخبه محمد بن اسماعيل اتسم بالصحة وأصبح ذلك شهادة بصحته •

عن أبى حاتم قال : سمعت محمد بن اسماعيل يقـــول « كان اسماعيل بن أبى أويس اذا انتخبت من كتابه نسـخ تلك الأحاديث لنفسه وقال هذه أحاديث انتخبها محمد بن اسماعيل من حديثى • وقال أبو حاتم : سمعت حاشد بن عبد الله يقول • قال لى أبو مصعب أحمد ابن أبى بكر المدينى : محمد بن اسماعيل أفقه عندنا وأبصر من ابن حنبل فقال له رجل من جلسائه جاوزت الحد فقال أبو مصعب لـــو أدركت مالكا ونظرت الى وجهه ووجه محمد بن اسماعيل لقلت كلاهما واحد فى الفقه والحديث • وهذه الرواية انما تعنى الشبه فى الفقـه والحديث والا فملامح الوجه والجسم لا تفيد تعظيما أو تكريما •

وعن محمود بن النصر أبى سهل الشاقعى يقول : دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة وجالست علماءها فكلما جرى ذكر محمـد ابن اسماعيل فضلوه على أنفسهم • وعن عبد الله بن أحمد ابن حنبـل عن أبيه الامام أحمد أنه قال : ما أخرجت خراسان مثـل محمد بن اسماعيل ويقول يعقوب بن ابراهيم الدورقى محمد بن اسماعيل فقيه هذه الأمة • وعن موسى بن هارون الحمال ببغداد يقول عندى لو أن أهل الاسلام اجتمعوا على أن ينصبوا مثل محمد بن اسماعيل آخـر لما قدروا عليه ــ وعن أبى العباس محمد بن عبد الرحمن الفقيه يقول كتبت أهل بغداد الى محمد بن اسماعيل •

المســـلمون بخـير ما بقيـت لهـم
وليس بعـــدك خـــير حين تفتقـد

وعن وراقة سمعت محمد بن اسماعيل يقول : قال لى محمـد بن سلام أنظر فى كتبى فما وجدت فيها من خطأ فأضرب عليه كى لا أرويـه ففعلت ذلك وكان محمد بن سلام كتب عند الأحاديث التى أحكمهـا محمد بن اسماعيل رضى الفتى وعند الأحاديث الضعيفة لم يرض الفتى

فقال له بعض أصحابه من هذا الفتى ؟ فقال هو الذى ليس مثله محمد ابن اسماعيل ــ والمقصود ليس مثله فى عصره طبعا •

وبلغ من حب القوم لمحمد بن اسماعيل أنهــم يتمنون أن يفدوه بأنفسهم حفظا للعلم • عن يحيى بن جعفر يقول لو قدرت أن أزيد فى عمر محمد بن اسماعيل لفعلت فان موتى يكون موت رجل واحد وموت محمد بن اسماعيل ذهاب العلم • ويقول فيه رجاء بن المرجى محمــد ابن اسماعيل آية من آيـــات الله يمشى على الأرض وعن أبى عيسى الترمذىتلميذ البخارىصاحب الصحيح يقول : كان محمد بن اسماعيل عند بن منير فلما قام من عنده قال : يا أبا عبد الله جعلك الله زين هذه الأمة • قال أبو عيسى فاستجيب له فيه وعن الترمذى أيضا قال لــم أر أحدا بالعراق ولا بخراسان فى معنى العلل والتاريخ والأسانيدأعلم من محمد بن اسماعيل ويقول له تلميذه مسلم بن الحجاج لايبغضــك الا حاسد وأشهد أن ليس فى الدنيا مثلك وجاء مرة اليه فقبله بينعينيه وقال دعنى أقبل رجلك يا أستاذ الأساتذة وسيد المحــدثين وياطبيب الحديث فىعلله وعن حاشد بن اسماعيليقول : رأيت اسحاق بن راهوية جالسا على السرير ومحمد بن اسماعيل معه فأنكر عليه محمد بن اسماعيل شيئا فرجع الى قول محمد وقال اسحاق بن راهوية يا معشر أصــحاب الحديث انظروا الى هذا الشاب واكتبوا عنه فانه لو كان فى زمن الحسن البصرى لاحتاج اليه الناس لمعرفته للحــديث والفقه ــ وعن أبى بكر محمد بن اسحاق يقول : ما رأيت تحت أديم هذه السماء أعلم بالحديث من محمد بن اسماعيل البخــارى ــ وعن عبــد الله بن عبــد الرحمن السمرقندى يقول رأيت العلماء بالحرمين والحجاز والشام والعراقيين فما رأيت فيهم أجمع من أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى ــ وعن عبد المؤمن بن خلف التيمى قال : سمعت الحسن بنمحمد يقول : مارأيت مثل محمد بن اسماعيل ومسلم الحافظ لم يكن يبلغ محمد بن اسماعيل ورأيت أبا زرعة وأبا حاتم يستمعون الى محمد بن اســماعيل أى شىء

يقول يجلسون بجنبه فذكرت له قصة محمد بن يحيى فقـــال ماله ولمحمد ابن اسماعيل .

كان محمد بن اسماعيل أمة من الأمم وكان أعلم من محمد بن يحيى بكذا وكذا وكان محمد بن اسماعيل دينا فاضلا يحسن كل شيء .

ولهذه المكانة السامية المتأصلة فى نفوس القوم كانوا يحرصون على علمه ويجتمع الألوف فى مجلسه يتزاحمون عليه للانتفـــاع منه حتى فى الطرقات يعدون خلفه انتظارا لمجلسه وكانت له هذه المكانة الممتـــازة منذ مقتبل حياته يقول حاشد بن اسماعيل كان أهل المعرفة من أهل البصرة يعدون خلف البخارى فى طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه ويجلسوه فى بعض الطريق ويجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنـــه وكان البخارى اذ ذاك شابا لم يخرج شعر وجهه . وقال قتيبة بن سعيد جالست الفقهاء والزهاد والعبـــاد فما رأيت منذ عقلت مثل محمـــد ابن اسماعيل البخارى وهو فى زمانه كعمر فى الصحابة ــ وقال محمد بن يوسف الهمدانى وقد سئل قتيبة عن طلاق السكران فدخل محمـــد بن اسماعيل البخارى وقال قتيبة للسائل هذا أحمد بن حنبل واسحاق بـــن راهوية وعلى بن المدينى قد ساقهم الله اليك وأشار الى البخارى ، وعن ابراهيم بن سلام قال ان الرتوت « الرؤساء » من أصحاب الحديث مثل سعيد بن مريم المصرى ونعيم بن حمـــاد الحميدى والحجاج بن منهال واسماعيل بن أويس والعدنى والحسن الخلال ومحمد بن ميمون صاحب ابن عيينة ومحمد العلاء والأشج وابراهيم بن المنذر الحزامى وابراهيم ابن موسى الفراء كلهم كانوا يهابون محمد بن اسماعيل ويقضون له على أنفسهم بالنظر والمعرفة وذكر أن الحاكم أبو عبد الله النيسابورى قال رحمه الله تعالى البخارى هو امام أهل الحديث بلا خلاف بين أئمة النقل وقال عبد الله بن محمد بن سعيد بن جعفر سمعت العلماء بمصر يقولون ما فى الدنيا مثل محمد بن اسماعيل فى المعرفة والصلاح ثم قال عبد الله وأنا أقول قولهم ــ وقال الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد بن ســـعيد ابن عقدة لو أن رجلا كتب ثلاثين ألف حديث لما استغنى عن تاريخ محمد

ابن اسماعيل ويقول الحافظ بن حجر فى نهاية فصل الثناء على البخارى ولو فتحت باب ثناء الأمة عليه ممن تأخر عن عصره لفنى القرطاس ونفذت الأنفاس فذاك بحر لا ساحل له •

وبعد ما تقدم من ثناء مشايخه عليه لا يحتاج الى حكاية من تأخر لأن أولئك أثنوا بما شاهدوا ووصفوا بما عملوا بخلاف من بعدهم فأن ثناءهم ووصفهم مبنى على الاعتماد على ما نقل اليهم وبين المقامين فرق ظاهر وليس العيان كالخبر •